الرحلة في طلب العلم إلى مكة المكرمة

من خلال الرحالة ابن حوقل

(عام ٣٣١ هـ /٩٤٢م)

إعـداد

أ . د. سهام مصطفى أبو زيـد

أستاذ التاريخ الإسلامي بقسم التاريخ

كلية الدراسات الإنسانية بالقاهرة

جامعة الأزهر – فرع البنات

بحث مقدم إلى ندوة

مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير﴾" صدق الله العظيم " البقرة : ١٢٦

لم يكن مجال هذا البحث هو الحديث عن أهميه العلم ومكانة العلماء، فهذا مخصص له محور مستقل من محاور الندوة، وقد سبقنى إلى ذلك أساتذة أجلّاء، أفاضوا عن أهمية العلم فى الإسلام فى القرآن الكريم [١] وفى الحديث النبوى الشريف [٢] وفى كتابات العلماء والفقهاء القدامى [٣] والمحدثين، وفى كتابات المستشرقين من علماء الغرب [٤] أيضا ولكن البحث عن الرحلة فى طلب العلم إلى مكة المكرمة من خلال الرحالة ابن حوقل.

يشتمل البحث على : مقدمة، وعدة محاور و هى :-

---

(١) انظر آيات فضل العلم والعلماء ومكانتهم فى الإسلام : محمد عبدالباقى : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، وتتبع الآيات الداله على ذلك .

(٢) البخارى : صحيح البخارى : باب العلم ،السعودية، دار السلام للنشر والتوزيع ١٩٩٩م.

(٣) Gronabaum Gustav. Von Medieval Islam. Chicago. ١٩٩٢

ترجمه إلى العربية عبدالعزيز جاويد بعنوان : " حضارة الإسلام " ص ٤٠٠ وما بعدها .

(٤) انظر سارتون : تاريخ العلم، حـ١، المقدمة، سهام أبو زيد : دعاوى غربية بالأسبقية التاريخية والرد عليها . بحث ضمن مؤتمر الحضارة الإسلامية . الأردن . اربد عام ٢٠٠٢ م .

Dr. Sagrid Hunke : Allah Sonne uber dem Abemolano unser Arabaches

شمس العرب تسطع على الغرب . ص ٥٢١ وما بعدها، بيروت ١٩٦٤ وطبعة ثانية ١٩٩٦.

١) طلب العلم والسبيل إلى ذلك .

٢) الرحلة فى طلب العلم وآراء حولها :

التعريف بالرحلة ، الفرق بين الرحلة وبين الهجرة .

أهداف الرحلة فى طلب العلم .

فوائد الرحلة فى طلب العلم .

٣) رحلة ابن حوقل إلى مكة المكرمة :

ترجمة لابن حوقل :

الرحلة كما وردت فى كتاب : " صورة الأرض " .

٤) الرحلة : دراسة وتحليل وتعليق .

٥) الدروس المستفادة من الرحلة :

منهج ابن حوقل فى الرحلة .

تصحيح آراء بعض المستشرقين .

٦) صدى كتابات ابن حوقل عن الرحلة فى الأوساط العلميه لدى:

أ) القدامى .

ب) المحدثين من العرب والمستشرقين .

أولى جميع العلماء المسلمين القدامى والمحدثين على اختلاف تخصصاتهم العلمية ، مكة المكرمة كمركز للثقافة قديما وحديثاً عناية فائقة ، ولم يأت هذا من فراغ ولكن لأنها احتلت مركز الصدارة فى هذا المجال مكة المكرمة أقدس مدن العالم قاطبة : " فأولها فى الشرق وأولاها ، وأرفعها رتبة وأعلاها ، مكة التى أفضل

جميع الأرض، فى طولها والعرض، وهى أول بيت وضع للناس، وطُهّر من سائر النقائص والأدناس .... " (١)

وإلى جانب ذلك، فقد اجتمعت عدة عوامل أخرى جعلت من مكة المكرمة عاصمة متميزة للثقافة الإسلامية عن مثيلاتها من عواصم الثقافة فى العالم الإسلامى، ومنها الموقع الممتاز، وتشجيع حكامها وولاتها – عبر العصور الإسلامية وحتى عصرنا هذا – للعلماء والفقهاء والمفكرين والرحّالة على طلب العلم، وتيسير السبل والأمور لهم، وتهيئة الفرص والمجالات المتعددة أمامهم للتفرغ لطلب العلم، والترحيب بهم للعيش فى كنفهم فى مناخ علمى يتسم بالحرية وبالأمان والسلام، وكذلك الأمر بإنشاء المراكز العلمية والفكرية المتخصصة وتوفير سبل الاطلاع والدراسة والبحث والتأليف والتصنيف، وكيف لا تختار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية في عام ١٤٢٦ هـ، وقد توافرت فيها جميع المقومات والصلاحيات التى تؤهلها إلى تبوء هذه المكانة الرفيعة : المكانة الدينية، والمكانة الجغرافية، والأصاله التاريخية، والمناخ العلمى، والمناخ البشرى، والمناخ الأمنى، كما جمعت بين الأصالة والتحديث .طلب العلم والسبيل إلى ذلك.

---

(١) غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى : " زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك " . انظر الفصل الخاص بمكة المشرفة من ص١٠إلى ص ١٣ ، إعتنى بتصحيحه بوليس راويس ،طبعة باريس ١٨٩١م.

طلب العلم ضـــــرورة :

ورد فـى القـرآن الكـريم أن طلـب العلـم ضـرورة مـن الـضرورات لكـل مـسلم فـى قولـه سـبحانه وتعـالى : " ومـا كـان المؤمنـون لينفـروا كافـة فلـولا نفـر مـن كـل فرقـة مـنهم طائفـة ليتفقهـوا فـى الـدين ولينـذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون " . (١)

وقـد احتـل موضـوع طلـب العلـم مكانـة كـبيرة فـى الأحاديـث النبويـة الـشريفة، وقـد تتبـع أئمـة الحـديث والفقـة (٢) العديـد مـن هـذه الأحاديـث الـشريفة . وعرضـوها فـى مؤلفـاتهم، ويفهـم مـن هـذا العـرض عدة أمور :

أولا : إدراك المـسلم لأهميـة طلـب العلـم، ولـيس هـذا فحـسب، بـل وإدراكـه تمامـا بـأن طلـب العلـم فريـضة عليـه وعلـى غـيره مـن المـسلمين، وذلـك مـصداقا لحـديث رسـول اللّه صـلى اللّه عليـه وسـلم : " طلـب العلـم فريضة على كل مسلم " . (٣)

ثانيـا : معرفـة المـسلم بـالأجر والثـواب الـذى سـيعود علـى طالـب العلـم . وذلـك مـصداقا لأحاديـث رسـول اللّه صـلى اللّه عليـه وسـلم : " مـن

(١) التوبة : ١٢٢ .

(٢) البخارى : صحيح البخارى : باب العلم " . صحيح مسلم ،وسنن النسائى وسنن أبى داوود

(٣) الألبانى محمد ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير وزيادته حديث رقم ٣٩١٤،بيروت،لبنان،المكتب الإسلامى،ط٣ ، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م.

سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة " [1] وكذلك "إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاءً بما يصنع "[2] .

وقال الشافعى رضى الله عنه : " طلب العلم أفضل من النافلة " .

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : " من رأى أن الغدو إلى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص فى رأيه وعقله " [3]

ومعنى ذلك إن طالب العلم له الأجر والثواب فى الدنيا وفى الآخرة : رفرفة الملائكه عليه، والوعد بدخول الجنة، وخير من الدنيا وما فيها، وإن طلب العلم يعادل الجهاد، وإنه إذا مات على حاله فإن ليس بينه وبين الأنبياء فى الجنة الإ درجة واحدة .

ثالثا : السعى إلى طلب العلم والسبيل إلى ذلك : –

وقيل : " أول العلم الصمت، ثم الاستماع، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم نشره، وقيل : علِّم علمك من يجهل، وتعلّم ممن يعلم ما تجهل ؛ فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت، وحفظت ما علمت " [4] .

١ – السؤال، مصداقا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم [5] : " العلم خزائن مفاتيحها السؤال؛ ألا فاسألوا ، فإنه يؤجر فيه أربعة : السائل والعالم، والمستمع، والمحب لهم " .

---

(١) البخارى: صحيح البخارى، كتب العلم، باب١٠ حديث٦٧، ص٢١، جمعية الفكر الإسلامى١٤٢١ هـ /الألبانى : صحيح رقم ٦٣٩٨.

(٢) خرجه أحمد برقم١٨٢٥٨، والنسائى: سنن النسائى رقم١٥٨، الرياض، دار السلام للنشر والتوزيع ط١٤٢٠ هـ وسنن أبى داوود، كتاب العلم، باب١ ، حديث٣٦٤٣.

(٣) الغزالى : الأحياء، حـ١، ص ١٦ .

(٤) نفسه : نفس المصدر، والجزء، ص ٢٠ .

(٥) رواه أبو نعيم من حديث على مرفوعاً باسناد ضعيف .

وخاصة وأن القرآن الكريم قد حثّ على عدم السكوت عن العلم وأوجب التعليم وحرّم كتمانه، سواء أكان عالما أو متعلما : " وإذ أخذ اللّه ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه " [(١)]، وهو إيجاب للتعليم، وقوله تعالى : " وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون " [(٢)] وهو تحريم للكتمان .

وطاعة لمنهج القرآن الكريم قال الرسول صلى اللّه عليه وسلم: "ما آتى اللّه عالما علما إلا وأخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه " [(٣)] كما قال صلى اللّه عليه وسلم : " من يرد اللّه به خيراً يفقهه فى الدين وإنما العلم بالتعلم " [(٤)].

٢ – الحضور والاستماع .

٣ – الرحلة فى طلب العلم : –

وذلك مصداقا لحديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: " اطلبوا العلم ولو فى الصين ".[(٥)]

سبل طلب العلم :

ويتفق العلماء على ضرورة السعى لطلب العلم، وأنه يجب على

---

(١) آل عمران : ١٨٧ .

(٢) البقرة : ١٤٦ .

(٣) أبو نعيم فى فضل العالم العفيف من حديث ابن مسعود .

(٤) البخارى:صحيح البخارى.باب١٠، حديث٦٧ ، انظر باب الخروج فى طلب العلم، وباب فضل من علم وتعلم ص٣٧.

(٥) ابن عدى والبيهقى فى المدخل والشعب من حديث أنس . قال البيهقى متنه مشهور وأسانيده ضعيفه ، الألبانى:ضعيف الجامع الصغير وزيادته ط٣ رقم٩٠٦ .

كل إنسان أن يسعى لطلبه، وهذا يقتضى على طالب العلم اتباع واحد أو أكثر من سبل طلب العلم، وعليه أن يختار السبيل المناسب له ولقدراته المختلفة، بالإضافة إلى الإجادة فيه . صدق الحسن رضى الله عنه عندما قال : " ما أحسن الرجل ناطقاً عالما ومستمعاً واعياً وواعياً عاملاً " (١)

وليس معنى هذا أن الطريق سيكون سهلا هينا ولا مفروشا بالورود، بل من المؤكد أنه سيواجه متاعب وصعوبات وشدائد مابين البسيطه والصعبة وسيواجه عناء وعوائق خاصة وإن كان هذا السبيل فيه انتقال وسفر وغربة إلى بلاد بعيده : " ...... ولو فى الصين " كما سبق الإشارة الى ذلك . ومن أقوال سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه : " كلمات لو رحلتم المطى فيهن لا تصيبوهن قبل أن تدركوا مثلهن : لايرجون عبد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحى من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحى إذا سأل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم " . وفى الأقوال : " العالم إذا اغترب فمعه علمه كاف، كأسد معه قوته " (٢).

الرحلة فى طلب العلم:

وتعد الرحلة فى طلب العلم من أهم سبل طلب الطلب، بل هى أهمها على الاطلاق هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فهى أشق السبل

(١) الدينورى: عيون الأخبار، المجلد ١- ٢ ، ص ١٣٥

(٢) الدينورى : عيون الأخبار، المجلد ١ – ٢، ص ١٣٥ وما بعدها .

وأصعبها أيضا .

التعريف بالرحلة والرحاله :

(أ) فى اللغة .

(ب) فى كتابات المؤرخين .

(جـ) فى الواقع التاريخى .

(أ) فى اللغة : تكاد تجمع القواميس اللغوية على تعريف الرحلة والرحّالة على الوجه التالى : رحل عن المكان – رحلا، ورحيلا، وترحالا، ورحلة : سار ومضى . و – البعير، رحلا، ورِحله، جعل عليه الرحل فهو مرحول، ورحيل .

أرحل فلان : كثرت رواحله فهو مًرحِل .

رحَّله : جعله يرحل .

الابل : وضع عليها رحالها . والحساب : نقله إلى موضع آخر .

ارتحل : رحل . ترحّل : رحل و – الدابة ركبها .

الراحلة من الابل : الصالح للأسفار والأحمال، رواحل .

الرحّال : العرب الرحال الذين لايستقرون فى مكان ويحلون بماشيتهم حيث يسقط الغيث وينبت المرعى .

الرحالة : الكثير الرحلة .

والرحلة لها علاقة وثيقة بالهجرة، لأنه متى رغب الرحالة فى الإقامة الدائمة فى البلد التى رحل إليها لمجاوره شيوخه أو المجاورة فى أحد الحرمين الشريفين . فإن هذه تعد هجرة ؛ بمعنى إقامة دائمة .

وقد ساعدنا على فهم ذلك التصور ماورد فى قواميس اللغة من تعريف للهجره والمهاجر :

هاجر : ترك وطنه من مكان كذا ، أو عند تركه خرج منه إلى غيره.

الهجر : المكان يهاجر إليه مهاجر .

الهجرة : انتقال الناس من موطن إلى آخر [1] .

(ب) الرحلة فى كتابات المؤرخين : -

يجعل المؤرخ العلامة ابن خلدون الرحلة فى طلب العلم إلى الأمصار المستبحرة، ضرورة يجب أن يسعى إليها الرحالة، فيقول : "....... ولابد من الرحلة فى طلبه إلى الأمصار المستبحرة شأن الصنائع كلها "[2] .

كما ربط ابن خلدون – برباط وثيق – بين ازدهار المدينة الاسلامية واستقرار السلام فى أى مكان وفى أى زمان (فى المدن والحواضر الاسلامية)، وبين تقدم العلم والتعليم، وذلك فى تناسب تناسقىّ وعكسىّ وبوعى كامل بالعامل المكانى والزمانى، فكلما وجد الازدهار واستقرار السكان كلما تقدم العلم والتعليم،

---

(1) المعجم الوجيز : مجمع اللغة العربية، مادتى : (رحل)، و (هجر) . هذه التعريفات وردت فى كل من ابن منظور : لسان العرب، ماده " رحل "، " وهجر " .

الفيروز أبادى : القاموس المحيط : ماده " رحل "، " وهجر " .

الزبيدى : تاج العروسى من جواهر القاموسى . مادة " رحل " و " هجر " .

المعجم الوسيط . مادة " رحل "، " وهجر " .

(2) ابن خلدون: المقدمة ، ص ٢٧٩

والعكس صحيح، وضرب مثلا على ذلك فى قوله :" ... واعتبر ماقررناه بحال بغداد وقرطبه والقيروان والبصرة والكوفة، لما كثر عمرانها صدر الإسلام واستوت فيها الحضارة كيف زخرت فيها بحار العلم، وتفننوا فى إصلاحات التعليم وأصناف العلوم، واستنباط المسائل والفنون حتى أربوا على المتقدمين وفاتوا المتأخرين، ولما تناقص عمرانها وانذعر سكانها، انطوى ذلك البساط بما عليه جملة، وفقد العلم بها والتعليم وانتقل إلى غيرها من أمصار الاسلام " [(١)]

وقد توافرت تلك العوامل فى مكة المكرمة إبان العصور الاسلامية، وقد شهد على ذلك المؤرخون والجغرافيون الذين كتبوا عن تاريخ مكه وجغرافيتها وكذلك الرحالة الذين رحلوا إليها .

وقد ساعد توسط موقع مكة المكرمة بين مراكز الحضارات والفكر الأخرى فى العالم الإسلامى، والرحلة منها وإليها على اتباع سياسة الأخذ والعطاء فى المجالات الفكرية دون أن يكون هناك إعاقات لتبادل الفكر والعلم خاصة بالمجال السياسى أو بالمجال المذهبى .

أهداف الرحلة فى طلب العلم :

يعرض لنا أحد المؤرخين المحدثين [(٢)] أهداف الرحلة فى طلب

(١) المقدمه ص ٢٧٩ – ٢٨٠ .

انظر : د . سعيد عاشور : المدنية الإسلامية، ص ٤٥ وما بعدها ، ط ثانية القاهرة ١٩٨٢م.

(٢) محمد كمال عز الدين على : مجالس الاملاء فى مصر فى ظل حكم المماليك، بحث منشور ضمن ندوة المدارس فى مصر الإسلامية . ص ٩ . الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤م.

العلم فيذكر أنها كانت للسماع والرواية وطلب الدرس والتزود بالعلم على يد أشهر العلماء، وإن كان هذا الدرس قد لازمه في حينه النقل عن المسندين أي من يروي الحديث الشريف بسنده [١] بطريقة أو بأخرى عن طريق التحمل (كالسماع، والقراءة، والإجازة التي كان يحصل عليها طالب العلم كإذن يخول له بعدها أن يروي عن الشيخ، والمناولة، والمكاتبة، والإعلام، والوصية، والوجادة) [٣] .

وقد أورد لنا أحد المؤرخين القدامى نصا غاية في الأهمية عن الرحلة في طلب العلم وسماع الحديث الشريف، وأهمية الرحلة في حياه العالم، وفوائدها، فيذكر أن : " .... وقد استغرق الناس همم العلماء في رحلتهم لنقل الحديث وسماعه، والموالاة في طلب العلم ثقته وانتجاعه وصنفوا في ذلك تصانيف قصدوا بها التحريض للهمم والتنبيه والرفع من أقدار أهله والتنويه، فقالوا: رحل فلان لسماع مسند فلان، وسار زيد إلى عمرو على بعد المكان، هذا وصاحب الرحلة قد نصب نفسه للعلم وشغل به دهره، ووقف عليه فكره، فلا يتجاذب عنان همته الكبائر، فما القول في ملك خواطره كأبوابه مطروقه، وأمور خلق الله كأمور دينه به معذوقة، إذ هاجر إلى بقية

(١) محمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث، ص ١٧ .

(٣) المراد بها أن يجد طالب العلم حديثا أو كتابا بخط شيخ معروف باسناده ولا يكون قد رواها عنه بسماع أو إجازة سواء أكان الواجد لها معاصراً لكاتبتها أو غير معاصر فيرويه الطالب على سبيل الحكاية انظر : الشوكاني : توضيح الأفكار حـ٢ ص٣١٧، ٣٤٤ / القاضي عياض بني موسى : الألمام إلى معرفة أصول الرواية وتقييد الأسماء، ص ٢٨ – ١٢١ . ابن جماعه : المنهل الروى : من ٨٠ – ٩٠ . صبحي الصالح : علوم الحديث ومصطلحه، ص ٨٨ – ١٠٤ .

الخير فى أضيق أوقاته، وترك للعلم أشد ضروراته، ووهب له أياما مع أنه فى الغزاة يحاسب لها نفسه على لحظاته وساعاته ...... " [١]

وقد ذكر أن احد الفقهاء كان يفضل الرحلة للسماع على سائر النوافل، ولم يقف الأمر عند هذا التفضيل للرحله فى طلب العلم، بل تعداه إلى أن هذا الفقيه العالم كان يأمر طلابه وتلامذته بالسفر إلى المشايخ والفقهاء بالبلدان الأخرى فى العالم الاسلامى، وذلك إذا وجد العالم أن طالب...... تواقا إلى العلم شغوفا "[٢].

والرحلة فى طلب العلم ظاهرة فكريه لم يتفرد بها مصر إسلامى بعينه دون سائر الأمصار الاسلامية، بل كانت ظاهرة عامه تحدث من وإلى كل مصر من أمصار العالم الإسلامى فى المشارق وفى المغارب . والقارئ المتفحص لمصادر التراجم والطبقات يعثر على العديد من أسماء هؤلاء الرحالة الذين رحلوا لطلب العلم إلى مختلف البلدان الإسلامية بوجه عام وإلى مكة بوجه خاص وسمعوا بها. [١] .

(١) أبو شامه : الروضيتن فى أخبار الدولتين، حـ١، ص ٢٤ – ٢٥ .

انظر : د . سعيد عاشور : المدنية الإسلامية، ص ٤٥ وما بعدها ، ط ثانية القاهرة ١٩٨٢م.

(٢) انظر : ابن خلكان : وفيات الاعيان، حـ١ ، ص ٢٣. عن هؤلاء العلماء ورحلتهم لطلب العلم انظر: السبكى : طبقات الشافعية، حـ٤ ، ص٢٠١ وما بعدها للمزيد انظر : ابن رجيب : كتاب الذيل على طبقات الحنابلة، ص ١٠ .

(٤) وردت أخبار الرحاله فى طلب العلم إلى العراق فى السيوطى : بغية الدعاة، ص ١٨٨ . أما فى المشرق ومدن طبرستان، وخوارزم، وغزنه فقد وردت فى ابن خلكان : وفيات الأعيان، حـ١ ، ص ١٥٢ – ١٥٣. الثعالبى : يتيمة الدهر، حـ١ ، ص٥٦ ، ٥٧

Brown : Literary Historg of the Peresia. Vol, ١١. PP. ١٠٣ – ١٠٤

أما فى بلاد الشام : انظر : السيوطى : بغيه الدعاه، ص ٥٩ . الثعالبى : يتيمة الدهر، حـ٢ ، ص١١ .

وتطالعنا هذه الأمور إلى مؤشرات واضحة على أن الرباط الثقافى كان وثيقا للغاية بين بلدان العالم الاسلامى بعضها مع بعض بوجه عام وبينها وبين مكة المكرمة بوجه خاص، فكانت هذه البلدان تدرس علوما واحدة (العلوم الإسلامية وغيرها)، لا فرق بين بلد وآخر وكذلك كان العلماء وطلاب العلم يجولون ويصولون فى أنحاء تلك البلدان من المشارق إلى المغارب والعكس صحيح .

كما يدل هذا أيضا على أن المناخ العلمى والثقافى كان يتسم بطابع الحرية فى الفكر، فالعلماء وطلاب العلم من أى بلد يقومون بالرحلة إلى البلاد الأخرى للاستفادة فينقلون الفكر بحرية تامة،

=

والرحله والرحالة إلى بلاد الحجاز انظر : ابن خلكان : وفيات الاعيان، حـ١، ص١٢، ٢٢٧ . السبكى: طبقات الشافعية، ص٣، ص٦٢/ السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، حـ١ ص ٢٢٧ .

والرحلة من وإلى بلاد الأندلس فى مختلف مدنها والرحالة وردت فى المقرى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : حـ١، ص ١٨٦، ١٨٧، ٢١٨ / المراكشى : المغرب فى تلخيص أخبار المغرب، ص١٩، ٢٤ / السيوطى : البغية، ص ٢٨٢، ٣٠٢ / ابن خلكان : وفيات، حـ١، ص ٣٣٩ / ياقوت الحموى : معجم الأدباء، حـ١٢، ص ٢٧٩ . السيوطى: بعيه الدعاة، ص ٩٠، ٢٣١ . ابن الأبار القضاعى: المعجم، ص ١٤٠ رقم ١٢١ ، ص ١٦٤- ١٦٥ ترجمة رقم ١٤٢. ، ابن شكوال: كتاب الصلة، ص٦ رقم٣، ص٨ رقم٥، ص٩ رقم٧، ص١١ رقم١٥، ص١٢ رقم١٦، ص١٣ رقم٢٠، وفى القسم٢ ص٣٦١ رقم٤٧٤، ص٣٧٠ رقم٧٧٣. ، الحميدى: جذوة المقتبس ص٣٩ ترجمة رقم٤، ص٤١ رقم١٥، ص٨٤- ٨٥ رقم١٢٩. كما روى لنا الحميدى ترجمات عديدة لعلماء أندلسيين رحلوا إلى مكة المكرمة وسمعموا بها، أنظر ص٢٦٤ ترجمة٨٠١، ص٢٦٥- ٢٦٦ ترجمة٨٠٥، ص٢٧٤ ترجمة٨٢٢، ص٢٧٧- ٢٧٨ رقم٨٣٧، ص١١٢ القسم٢ ترجمة رقم٣٩٩. ، ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس، ص٧٩ رقم٢٤٨، ص٨٠- ٨١ رقم٢٥٥. ، الخشنى: قضاة قرطبة، ص١٤- ١٥ ، ص٤٥- ٤٦. ، الضبى: بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس، ص١٧٠ رقم٣٧٨، ص٢٩ رقم٥٠٨، ص٣٥٠ ترجمة٩٤٧.

ودون حجر أو أية إعاقات تتعلق بمجال السياسة أو الفكر المخالف، أو أية مجالات أخرى .

ومن فوائد الرحلة فى طلب العلم أيضا أن هؤلاء الرحالة كانوا يلتقون مع بعضهم البعض خلال فترة رحلتهم سواء طالت الإقامة أم قصرت فإنهم يحاولون جاهدين تحقيق أكبر استفادة ممكنة عن طريق الأخذ والعطاء فيأخذون من علماء مكه بعض ماعندهم من علم وفقه، فتتمازج الآراء وتتشابه أو تنتفى بين بعضهم البعض، وبذلك تظهر الشخصية الإقليمية واضحه.

وعلى طريق التطبيق، وفى بداية عصر الإسلام، نجد أن الرحلة فى طلب العلم كانت موجهة وجهة واحدة، لتحقيق أهداف معينة، ولم يكن لها إلا منظورا واحدا بمعنى أن غالبية الرحلة إلى مكة المكرمة وإلى المدينة المنورة كانت فقط لتعليم العلوم الإسلامية: القرآن الكريم، والحديث النبوى الشريف والتفسير والفقة، وللحصول على إجازات علمية على أيدى الأئمة والعلماء والفقهاء وكذلك أداء فريضة الحج [(١)]، والمجاورة حيث كان الحج من أغنى الينابيع التى زودت المعلمين بالمعلومات حيث صاحب عودة الحجاج إلى بلادهم سرد الأخبار التى سمعوها فى طريقهم، ودونوها لينتفع بتجاربهم سائر المسلمين، ومن ثم زخرت كتبهم بأحوال سكان البلاد الاجتماعية والاقتصادية [(٢)] .

---

(١) د . أحمد نحراوى عبدالسلام : الأمام الشافعى فى مذهبيه القديم والجديد . انظر رحلة الأمام إلى مصر، ص ٧٨ وما بعدها .

د. مصطفى منير أدهم : رحلة الأمام الشافعى إلى مصر المصطفى، أنظر مقدمة المؤلف ١٩٣٠ م .

(٢) د . إبراهيم العدوى : ابن بطوطه فى العالم الإسلامى، ص ٨ .

ومـع اسـتمرار هـذا التوجـه، وهـذا المنظـور مـع تعاقـب فـترات التـاريخ، وحتـى عـصرنا الحـديث، إلا أنـه منـذ القـرن الثالـث الهجـرى التاسـع الميلادى قـد حـدثت إضـافه لهـذا المنظـور حيـث نجـح بعـض طـالبى العلـم فـى تحقيـق أهـداف مهمـة أخـرى جنبـا إلى جنـب مـع الأهـداف السابقة المذكورة ولاتقل أهمية عنها فى مجال العلم والثقافة .

اذ سـاهم العقـل الاسـلامى مـساهمه دافعـه فـى النهـضة العلميـة منـذ القـرن ٢ هـ – ٨ م) والتـى كانـت قـد أخـذت تـشع فـى كـثير مـن نواحى النشاط العقلى وفى السير بالحضارة الإسلامية قدماً إلى الامام.

وفـى مطلـع هـذه النهـضة نـشأ "علـم البلـدان "، وهـو المعـروف فـى اصـطلاحنا الحـديث "بالجغرافيـة الوصـفية "، ولمـا تـوافرت عوامـل التطـور والازدهـار أمـام هـذا العلـم تطّـور علـم البلـدان تطـورا جعـل هـذا العلـم فـى أوائـل القـرن الرابـع الهجـرى علمـاً كـامـل المعـالم والأسـس، وقـد هيـأ اللّه لهـذا العلـم رجـالا علمـاء جـابوا الـبلاد وتحملـوا المـشاق وعرفـوا المـسالك والممالـك فـى البلـدان التـى رحلـوا إليهـا، ودرسـوا حيـاه أهلـها الاجتماعيـه، ووصـفوا ودونـوا كـل مـارأوا ومـا خـبروا ومـاسمعوا [١]، وأصـبحوا روادا فى هذا المجال وفى هذا العلم .

وهـذا المنظـور هـو التخـصص فـى : " ... ذكـر الأقـاليم والبلـدان علـى مـر الـدهور والأزمـان وطبـائع أهلـها وخـواص بلادهـا فـى نفـسها وذكـر جباياتهـا وخراجاتهـا ومـستغلاتها وذكـر الأنهـار الكـبرى،

---

(١) محمد جابر الحيتى : مقدمة تحقيقه لكتاب الاصطخرى، المسالك والممالك، ص ٩ – ١٠ .

واتصالها بشطوط البحر وماعلى سواحل البحار من المدن والأمصار ومسافة مابين البلدان للسفارة والتجار : ... مع ماينضاف إلى ذلك من الحكايات والأخبار، والنوادر والآثار ... " [١]

وبدأت رحلات بعض المسلمين الأول متخذة صيغة رسمية قام بها مبعوثون وسفراء من قبل السلطات المركزية الإسلامية ببغداد، لوصف الطرق والممالك التى تربط العاصمة بالبلاد التابعة لها ولدراسة الأحوال التى تعين أولى الأمر على إدارة هذه الامبراطورية وتطبيق أحكام الشريعة فيها [٢] . وحظى بالذكر من هؤلاء الرحالة : محمد بن موسى الخوارزمى [٣] الذى أخرج لنا كتاب " صورة الارض " أو " رسم أفريقية "، والرحاله العربى سليمان التاجر الذى زار الهند والصين عدة مرات، ووصف الرحلة حوالى سنه ٢٣٧ هـ / ٨٥١ م . وأخرجها باسم " رحلة سليمان التاجر " او " سلسلة التواريخ " [٤]

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض، المقدمة ص ٥، ٦ .

(٢) د . إبراهيم العدوى : ابن بطوطه فى العالم الإسلامى، ص ٧ .

(٣) كان كتابه فى القرن ٣ هـ/٩ م أساساً لما ألف بعده من كتب الجغرافيا لاستخراجه من كتاب الجغرافيا الذى الفه بطليموس القلودى، رسم الخوازرمى خريطة أفادت اللاحقين له من أمثال المسعودى (القرن ٤هـ / ١٠م)، عنى بنسخة وتصحيحة هانس فون مزيك . ط فينا ١٣١٥ هـ / ١٩٢٦ م.

(٤) طبعت ونشرت عدة مرات أولها سنة ١٨١١ م على يد لانجلس ، وثانيها سنة ١٨٤٥ م على يد رينو مع الترجمه إلى الفرنسيه، ثم ترجمت إلى الفرنسية سنة ١٩٢٢ على يد فران مع مجموعة أخرى من الرحلات

وكذلك رحلة ابن فضلان [1] بأمر من الخليفة العباسى المقتدر بالله فى ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م إلى البلغارفى حوض الفلجا .

ومنهم أيضا ابن خرداذبه الخراسانى المتوفى فى سنه ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م وقد أخرج كتابه " المسالك والممالك " [2] وقدامه بن جعفر المتوفى فى ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م فى كتابه "الخراج وصنعة الكتابة " .

وابن الفقيه الهمذانى أواخر القرن الثالث الهجرى وأوائل العاشر الميلادى : (مختصر كتاب البلدان) [3]

والهمذانى المعروف بابن الحائك [4] المتوفى عام ٣٣٤ هـ/٩٤٥ م: (صفة جزيرة العرب) . ويبحث فى وصف بلاد العرب وجبالها

---

(١) سميت رحلة ابن فضلان باسمه، ونشرت بعناية المستشرق الالمانى فرهن فى سنة ١٨٢٢ هـ فى روسيا وقد نقل عنه الاصطخرى والمسعودى ثم ياقوت الحموى . ،
انظر د . زكى محمد حسن : الرحاله المسلمون فى العصور الوسطى ص ٢٦ – ٣١ .
د . سيدة الكاشف : مصادر التاريخ الإسلامى ص ٤١ .

(٢) أبو القاسم عبدالله بن عبيدالله، جغرافى نابه من أصل فارسى . ولد فى الأعوام الأولى من القرن ٣ هـ/ ٨٢٠م تقريباً شغل منصب صاحب البريد والخبر بناحية الجبل، وكان نديما للخليفة العباسى المعتمد، وله مؤلفات كثيرة عن أنساب الفرس، عن الأدب وغن الملاهى والموسيقى، وصناعة الطعام والندماء والجلساء، ولم يبق من هذه المؤلفات غير كتاب المسالك والممالك الذى ألفه برغبة أحد الأمراء ، ويعد الكتاب مصدراً هاماً عن طبيعة الأرض من الوجهة التاريخيه (الطبوغرافيا التاريخيه)، كتب كتابه حوالى عام ٢٣٢ هـ / ٨٤٦ – ٨٤٧ م، ثم أخذ يضيف إليه بعض الزيادات إلى أن ظهرت له نسخه ثانية لم تتم قبل عام ٢٧٢ هـ / ٨٨٥ – ٨٨٦ م ، يذكر حاجى خليفه أن ابن خرداذبه توفى حوالى عام ٣٠٠ هـ / ٩١٢ – ٩١٣ هـ انظر : دائرة المعارف الإسلامية مادة (ابن خرداذبة) .

(٣) طبع فى ليدن ١٨٨٥، والجزء الخامس من المكتبة الجغرافية باشراف المستشرق دى جويه، وعليه تعليقات باللغة العربية واللاتينية . وقد ألفه الهمذانى سنة ٢٧٩ هـ، وجاء ذكره فى كتابى المقدسى وياقوت .

(٣) أبو محمد بن الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمذانى .

ومساكنها ومدنها ولغاتها وآثارها ومعادنها [١]، وكذلك كتاب " الإكليل فى أنساب حمير وملوكها "، وبه وصف بلاد اليمن [٢] .

ويعد الإصطخرى (أبو القاسم ابراهيم بن محمد الفارسى) من أهم الرواد فى هذا العلم، الذى ولد على الارجح فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى، وتوفى فى القرن الرابع تقريبا . وقد ألف كتابه " المسالك والممالك " [٣] فى تقويم البلدان الذى قرأه واستفاد منه ابن حوقل وسيأتى تفصيل ذلك فى حينه .

ومنهم أيضا أبو عبيد البكرى فى كتابه(المسالك والممالك) [٤] .

والمقدسى (شمس الدين ابو عبدالله) من علماء المسلمين فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى والعاشر الميلادى) الذى رحل

---

(١) طبع على يد المستشرق ميللر Miller فى لندن سنة ١٨٨٤م . ثم قام بنشره وتصحيحة الأستاذ محمد بن عبدالله بن بيليهد النجدى . مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٣م .

(٢) نشر ميللر جزء منه فى ليبزج سنة ١٨٧٩م .

الأكليل من أخبار اليمن وانساب حمير . الكتاب العاشر فى معارف همذان وأنسابها وعيون أخبارها . حققه وعلق على حواشيه وطبعه الأستاذ محب الدين الخطيب . مصر . الطبعة السلفيه سنى ١٣٦٨ هـ .

(٣) د. الحيتى . مقدمة التحقيق، ص ٨، ٩ دائرة المعارف الإسلامية :مادة (الإصطخرى) المجلد ١٧، ص ٤٦٩.

يذكر ابن خلكان فى ترجمته أنه أبو سعيد الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى بن الفضل الاصطخرى الفقيه الشافعى، وكان من نظراء أبى العباس بن شريح وأقران أبى على بن أبى هريرة . ولد عام ٢٤٤م . وتوفى ٣٢٨هـ . وفيات الاعيان، ترجمة رقم ١٥٨ .

(٤) حققه وقدم له ادريان فان ليوفن واندرى فيرى، جزء أن، نشر وزارة الثقافة تونس – الدار العربية للكتاب سنة ١٩٩٢ . وصف مكة المكرمة والطرق المؤدية إليها من ص ٣٧٨ – ٦٨٢ .

إلى بلاد الإسلام شرقا إلى الصين والهند وغربا إلى الأندلس، وذكر تفاصيل عديده ودقيقه عن هذه الاماكن وعن هذا العلم أوردها لنا فى كتابه المعروف : " أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم " [١] .

وهناك رأى يقول إن هذا العلم قد تطور على يدى اثنين من أهم الرواد فى مجال الرحلة هما : أبو زيد البلخى والجيهانى ، والذى يهمنا هنا أن كتبهما كانت مؤثرة إلى حد كبير على الرحالة ابن حوقل [٢] والذى يعد بدوره أحد العباقرة الأفذاذ النابغين النابهين فى هذا العلم، وأحد المجددين فيه، ومن بين أصحاب هذا المنظور الجديد فى الرحلة، وقد تعلم من هؤلاء الرواد الأوائل السابقين له واستفاد منهم، وعلّم اللاحقين له وأفادهم .

***

(١) طبع فى ليدن باشراف دى جويه . ثم طبع بعناية دوزى ودى جويه فى ليدن ١٩٠٦ . ثم طبع فى كلكتا سنة ١٨٩٧، ١٩٠١ م .

للمزيد انظر : د . زكى محمد حسن : الرحاله المسلمون فى العصور الوسطى، ص ٢٣ وما بعدها .

د . سيدة كاشف : مصادر التاريخ الإسلامى ومناهج البحث فيه، ص ٢٨ وما بعدها .

(٢) د . محمد جابر الحيتى : مقدمة تحقيقه لكتاب الاصطخرى : المسالك والممالك، ص ٨ . للمزيد عن تأثير هذين العالمين فى كتابات الاصطخرى وابن حوقل . انظر د . الحيتى، نفسه، ص٨ وما بعدها .

رحلة ابن حوقل إلى مكة المكرمة لطلب العلم

أ – ترجمة لابن حوقل :

هو أبو القاسم محمد بن على الموصلى الحوقلى البغدادى، عاش فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى، رحّاله عربى وجغرافى مشهور وهو واحد من أولئك التجار الرحّالة الذين طلبوا العلم و اتخذوا التجارة وسيلة لتفهم خصائص الإقليم، وطبائع الشعوب، وتدوين ما يتعرفون إليه من ميزات الناس ونوادرهم وغرائبهم [(١)] ؛ ولذلك فقد جاب العالم الإسلامى من المشرق إلى المغرب، وكان يدرس فى الوقت نفسه بشغف مؤلفات أسلافه كالجيهانى وابن خرداذبه وقدامه [(٢)] .

ب – كتاب صورة الأرض :–

أودع ابن حوقل رحلته إلى مكة المكرمة ضمن مؤلفه الشهير : " صورة الأرض" [(٣)]، والذى قدمه لقارئيه بهذه الكلمات الجامعة : " ..... وصفه أشكالها ومقدارها فى الطول والعرض، وأقاليم البلدان، ومحل الغامر فيها والعمران، من جميع بلاد الإسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ما تفرد بالأعمال المجموعة إليها "[(٤)] .

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض، انظر مقدمة الناشر دار الحياة، ص ٥ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية : مادة : إبن حوقل .

(٣) طبع الكتاب مرتين فى ليدن . الطبعة الأولى نشرت بعنوان : " المسالك والممالك والمغاوز والمهالك "، والطبعة الثانية نشرت بعنوان : "صورة الأرض " وذلك بعد أن حسنت، انظر تقديم الناشر، ص ٦ .

(٤) ص ٧ .

رحلة ابن حوقل إلى مكة المكرمة

كما وردت فى صورة الأرض [٤]

" وأنا مبتدىء من ديار العرب بذكر مكة، ومكة مدينة فيما بين شعاب الجبال، وطولها من المعلاة إلى المسفلة نحو ميلين، وهو من حد الجنوبى إلى الشمالى، ومن أسفل جياد إلى ظهر قعيقعان نحو الثلثين من هذا. وأبنيتها من حجارة والمسجد فى نحو وسطها، والكعبة فى وسط المسجد . وباب الكعبة مرتفع من الأرض نحو قامة تجاه المشرق، وهو مصراعان . وأرض البيت مرتفعة عن الأرض مع الباب، ويحاذيه قبة زمزم ومقام إبراهيم صلى الله عليه بقرب من زمزم بخطوات . وبين يدى الكعبة ممايلى المغرب حصار مبنى مدور له بابان مع ركنى البيت، إلا إنه لم يدخل فيه ويعرف بالحجر والطواف يحيط به وبالبيت، وأحد الركنين الذى يحاد الحجر يعرف بالعراقى، والركن الآخر يعرف بالشامى، والركنان الآخران أحدهما عند الباب والحجر الأسود فيه مركب على نحو قامة إنسان، والركن الآخر يعرف باليمانى . وسقاية الحاج المعروفة بسقاية العباس على ظهر زمزم، وزمزم فيما بينها وبين البيت . ودار الندوة من المسجد الحرام فى غربيه، وكانت لعبد الله ابن جدعان التيمى، وكان يملأها بالفالوذج وله مناد ينادى عليها فى الموسم : هلموا الى الفالوذ . وهى أول دار أسست بمكة ؛ وفيه وفيها يقول الشاعر :

له داع بمكة مشمعل وآخر فوق دارته ينادى

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض، ص ٣٥ – ٣٧ .

ومن وقف على الصفا رأى الحجر الأسود والسعى بين الصفا والمروة . والمروة حجر من حد قعيقعان وهو الجبل الذى عن غربى الكعبة ، وأبو قبيس أرفع وأعلى منه تجاهه من نحو المشرق . ويقال أن حجارة البيت من قعيقعان . ومنى على طريق عرفات من مكة ، وهى أيضاً شعب طوله دون الميلين وعرضه دون رمية السهم، وبينه وبين مكة ثلاثة أميال . وبمنى أبنية كثيرة كالقصور ، لأهل كل بلد من بلدان الإسلام، ومسجد الخيف فى أقل من وسطها ممايلى مكة ، وجمرة العقبة فى آخر منى ممايلى مكة ، وليست العقبة التى تنسب إليها الجمرة فى منى والجمرة الأولى والوسطى هما معاً فوق مسجد الخيف إلى مايلى مكة . والمزدلفة مبيت للحاج ومجمع صلاتى المغرب والعشاء الآخرة إذا صدر الحاج من عرفات بالمزدلفة ، وهو مكان بين بطن محسر والمأزمين، فأما بطن محسر فهو واد بين عرفات والمزدلفة. والمأزمان شعب بين جبلين يفضى آخره إلى بطن عرنة ، وهو واد بين المأزمين وبين عرفة ، وعرفة مابين وادى عرنة الى حائط بنى عامر إلى ما أقبل على الصخرات التى يكون بها موقف الإمام، وإلى طريق حضن. وبحائط بنى عامر نخيل، وكذلك فى غربى عرفة وعرنة بقرب المسجد الذى يجمع فيه الإمام بين صلاتى الظهر والعصر فى يوم عرفة . ونخيل الحائط والعين تنسب الى عبد الله بن عامر بن كريز. وليس عرفات من الحرم، وانما حد الحرم من المأزمين، فاذا جزتهما إلى العلمين فمن الحل. وكذلك التنعيم الذى يعرف بمسجد عائشة ليس من الحرم، والحرم دونه نحو عشرة أميال فى مسيرة يوم، وعلى الحرم كله منار مضروب متميز به عن غيره .

وليس بمكة ماء جارٍ إلا شئ أجرى اليها من عين قد كان عمل فيها بعض الولاة، فاستتم فى أيام المقتدر ويمتح إلى مسيل قد جعل له إلى باب بنى شيبة فى قناة قد عملت هناك . وكانت أكثر مياههم من السماء إلى مواجن وبرك كانت بها عامرة، فخربت باستيلاء المتولين على أموال أوقافها واستئثارهم بها، وليست لهم آبار يشرب منها، وأطيبها زمزم ولايمكن الإدمان على شرب مائها . وليس بجميع مكة شجر مثمر غير شجر البادية، وإذا جزت الحرم فهناك عيون وآبار وحوائط كثيرة، وأودية ذات خضر ومزارع ونخيل . ويقال أن بفخ نخيلات يسيرة متفرقة وهى من الحرم ولم أرها . وثبير جبل مشرف يرى من منى والمزدلفة، وكانت الجاهلية لا تدفع من المزدلفة إلا بعد طلوع الشمس إذا أشرقت على ثبير . وبالمزدلفة المشعر الحرام، وهو مصلى الإمام يصلى فيه المغرب والعشاء الآخرة والصبح، والحديبية بعضها من الحل وبعضها من الحرم، وهو مكان صد المشركون فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام من أبعد الحل إلى البيت، وليس هو فى طول الحرم ولا عرضه، إلا انها فى زاوية للحرم، فلذلك صار بينها وبين المسجد أكثر من يوم ".

قراءة صورة مكة المكرمة وصورة ديار العرب :[١]

" إيضاح ما يوجد من الأسماء والنصوص فى صورة ديار العرب :

(١) انظر هذه الصورة فى نهاية البحث .

قد كتب فى زاويتى الصفحة العليا بين المغرب والشمال، ورسم فى هذا القسم نهر النيل وتحت ذلك الرسم النص الآتى : نواحى مصر وأعمالها والصعيد الأعلى ومساكن البجه وأعمال دنقله وعلوه وهما مدينتان . وعلى النهر من المدن الفسطاط والجيزة وبينهما الجزيرة ثم اسوان، وبين النيل وبين ساحل البحر العلاقى .

ويقرأ على ساحل البحر فى أسفل أيسره : بلد الزنج ونواحيه، مفازة بين الزنج والحبشة، بلد الحبشة ثم بربرة، ثم قرب منتهى الساحل الفوقانى عيذاب ثم جزائر بنى حدان، ثم عند منتهى البحر القلزم ؟ وفى البحر من الجزائر : سنجله، سواكن، باضع، زيلع .

وعلى ساحل البحر من الجانب المقابل يلى القلزم من المدن رايه، أيله، عينونه، طبا، الجار، جده، السرين، حلى، الحمضه، عثر، الشرجه، الحرده، غلافقه، المخا، عدن، ثم حضرموت ثم فى الزاوية بلاد عمان وفيها رأس الجمجه ومدينة صحار . ثم تلى ذلك على الساحل مدينة القطيف، وفى هذا القسم من البحر جزيرتا خارك واوال .

وفى وسط الصورة رسمت مدينة مكة تحيط بها جبال متلاصقة، وفيها أيضاً من أسفل مكة الطائف . ويقرأ عند هذه الجبال من الجانب الايسر : جبال تهامه، قعيقعان، ديار راحه، وبين هذا الطرف من الجبال والبحر من المدن : المعقد، زبيد، المذيخره، الكدرا، المهجم . ويأخذ من عدن على البحر طريق الى الجبال وعليه من المدن : صنعا، صعده، نجران، بيشه، جرش، تباله . ثم يقرأ عند

جانب الجبل مكتوباً على شكل صليبى : نجد الحجاز . ثم رسم بين الجبل وحضرموت جبل شام وفيه مدينة الشام . ويقرأ بين جبل شبام وعدن : ديار همدان وخولان . وتتشعب الجبال الوسطية عن أسفلها الى طرفين كُتب بينهما : نجد الحجاز، وعند الطرف الأيسر جبال تهامه، وعند الطرف الأيمن جبل الفرع ومدينة الفرع. وبين هذه البقاع والبحر بلد اليمامة وبلد البحرين، وفيها من المدن : العقير، الإحساء، هجر . ثم يأخذ عن يمين القطيف على البحر إلى أعلى رمل الهبير، ويقرأ عند طرف الجبل الذى بين مكة ورمل الهبير : أبو قبيس.

وعن يمين مكة بينها ورمل الهبير أيضاً من المدن : المدينة وفيد ، والطريق المار على هاتين المدينتين بعد اجتيازه رمل الهبير يمر على القادسيه والكوفه الى بغداد على نهر دجلة . ويأخذ من المدينة طريق إلى وادى القرى ثم تبوك ثم معان ثم سلميه ثم الخناصره ثم بالس على نهر الفرات، وبين تبوك والفرات يقرأ : السماوه، ديار فزاره، ديار كلب، بريه خساف، صفين، وأثناء ذلك من المدن: تيما وتدمر . وبين وادى القرى والفرات : ديار ثمود وجبلى طى، وبينه والبحر ديار لخم وجذام وجهينة وبلى.

وبين الفرات ودجلة يقرأ بلد الجزيرة وديار ربيعة . ثم على الفرات من المدن : الرقة، الأنبار . وعند الخليج الآخذ من الأنبار الى دجلة الصراه، ويجرى من بغداد إلى هذا الخليج نهر عيسى، وعلى دجلة بين بغداد والبحر من المدن : كاواذى، المدائن، واسط، الأبلة . ومن الابلسة يأخذ نهر الأبله الى البصرة وينصب تجاهها فى نهر معقل.

ويقرأ بين البصرة ورمل الهبير: ديار بنى اسد، ثم فى قرب الساحل لقبائل مضر .

وفى اسفل الصورة على البحر من المدن : مهروبان، سينيز، توج، جنابه، نجيرم، سيراف، ويقرأ وراء ذلك فى البر كلمة ناحية التى أضيف إليها اسما خوزيستان وفارس المكتوبان عليها فى شكل الصليب، وفى زاويتى الصورة السفليين المشرق والجنوب "[(١)] .

***

الرحلة إلى مكة المكرمة

دراسة وتحليل وتعليق

والمتفحص للنصوص التى أوردها ابن حوقل عن الرحلة إلى مكة المكرمة يتضح أمامه عدة أمور :-

(١) أنه، بادئ ذى بدء، بدأ الرحلة بديار العرب لسبب رئيسى وجوهرى ذكره بنفسه، وهو وجود مكة المكرمة (أم القرى)، ممايدل على أن هذا الرحّالة مدرك تمام الإدراك أن هذه المدينة تفضل أى مدينة أخرى فى العالم، وأنه يقدر قدسية هذا المكان حق التقدير، ومن ثم فإن مثله مثل اى مسلم مؤمن يتعلق قلبه بهذا المكان

(١) انظر : الرحلة : ص ٣٠ - ٣١ .

تهفو نفسه إلى بيت اللّه الحرام .[١]

هــذا الى جانــب ان هــذا الرحالــة كــان يــدرك تمــام الإدراك أن مكــة المكرمــة خــير مكــان يجـد فيــه بغيتـه لتطبيـق المنظـور الجديـد الـذى طالمـا سـعى إلى تحقيقـه . وكـان ذلـك فـى يـوم الخمـيس لـسبع خلـون من شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة.

(٢) أوضــح مكــان مكــة المكرمــة وحــدده، واتــصال بعــضه ببعض، ومقـدار كـل ناحيـة فيهـا فـى سـعتها وصـورتها ، مـن مقـدار الطـول والعرض والاستداره والتربيع والتثليث .

(٣) أبــرز ابــن حوقــل موقــع مكــة المكرمــة فــى بــلاد العــرب، فوضـعها فـى منتـصف الـصورة ورسمهـا واضـحة . كمـا أبـرز موقـع مكـة المكرمـة ومـا حواليهـا وجيرانهـا ، والطـرق منهـا وإليهـا مـن وإلى الأمـصار الاســلامية الأخـرى فـى العــالم الاســلامى : القادسـية، والكوفـة، وبغـداد فــى العــراق وإلى سـلمية وغيرهــا مــن مـدن بــلاد الـشام، والقلـزم بمـصر، ومدينة سيراف مركز التجارة الشهير المؤدى إلى الصين .

وهكــذا تكتمـل الـصورة بامتـداد موقـع ديـار العـرب والطـرق مـن وإلى مكــة المكرمــة ، وإن دل ذلــك علــى شــئ فإنمــا يــدل علــى ان ابــن حوقـل قـد أثبـت بالكتابـه والرسـم ذلـك التـصور الخطـير والمفيـد لـيس عـن موقـع مكـة المكرمـة بالنـسبه لـديار العـرب فحـسب، بـل أكـد اهميـة موقعهـا بمـا حولهـا مـن طـرق متعـددة تربطهـا ببلـدان العـالم الاسـلامى

(١) غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك . انظر رحلته إلى مكة المشرفة ، ص١٠- ١٣ .

وغيره من البلدان التابعه للأمم الأخرى، وتؤدى إلى سهولة الاتصال بهذه الجهات، وأبرز أهمية هذا الموقع داخليا وخارجيا، محليا وعالميا.

(٤) وصف الرحّاله ابن حوقل مكة المكرمة وصفا دقيقا أمينا مستفيضا، وحدد طولها بدقة من الجنوب إلى الشمال، ووصف جبالها وأبنيتها، وموقع المسجد فى وسطها، والكعبة فى وسط المسجد والأبواب والحجر الأسود، والأركان، ومقام إبراهيم عليه السلام ووصف الصفا والمروة، وزمزم وعرفات ومنى والطريق منها وإليها ومبانيها، وقصورها، والتنعيم، ومسجد الخيف وجمرة العقبة، والمزدلفة، والأودية والشعب والنخيل والعيون.

(٥) وأفرد ابن حوقل وقفة عن الماء، وذكر أنه ليس بمكة ماء جارٍ إلا من خلال عين عملها بعض الولاة، ذكر جهود الخليفة العباسى المقتدر [١] (٢٩٥ – ٣٢٠ هـ = ٩٠٧ – ٩٤١ م) [٢]. فى عمل قناة لتوصيل المياه، وأن أكثر مياههم من السماء فى برك كانت بهذه المياه ثم خربت " وليست لهم آبار يشرب منهاً " "وأن بئر زمزم هو أطيبها جميعاً "، ولكنه ذكر عبارته : " ولايمكن الإدمان على شرب مائها"، دون أن يذكر أى سبب لذلك، وعاد ابن حوقل ليذكر بعد أسطر قليلة : " وإذا جزت الحرم فهناك عيون وآبار وحوائط كثيرة، وأودية ذات خضر ومزارع ونخيل ..... "[٣]

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفا : المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن المعتضد ص ٦٠٤ – ٦١٥ .

(٢) Wüsten feld – Mahler'she verg leichungs – Tabellen

Der : Mohammed anischen und christlichen Zeitrechnung

ترجمه إلى العربية د . عبدالمنعم ماجد و د . عبدالمحسن رمضان، بعنوان : " جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها .

(٣) الرحلة، ص ٣٧.

(٦) كان جريئا فى قول الحق عندما ذكر أن بعض المسئولين المتوليين لأموال الأوقاف، قد عصوا الله سبحانه وتعالى، وتخلوا عن ضمائرهم، ولم يراعوا الأمانه فى أعمالهم فاستولوا على تلك الأموال واستأثروا بها ، وهذا أدى إلى خراب أماكن المياه التى كانت عامرة بها "مواجن وبرك " .

(٧) كان ابن حوقل أمينا فى نقل علمه إلى طالبيه عندما صرح بأنه مادام لم يعلم شيئا ، يقول: " لا أعلم " ومادام لم ير يقول : " لم أرَ " . حيث ذكر : " .... ويقال أنه بفخ نخيلات يسيرة متفرقة وهى من الحرم، ولم أرها "[1]

(٨) وختم ابن حوقل رحلته إلى مكة المكرمة بذكر الحديبيه، وذكر أنه جزء منه من الحل، وجزء آخر من الحرم، وهو المكان الذى صد المشركون فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام، وأن المسافة بينه وبين المسجد أكثر من يوم.

(٩) استخدم ابن حوقل مصطلحات واضحه ومعروفة وغير معقدة عن :-

الطول	الأميال
الارتفاع	القامة أى قامة الانسان .
العرض	رمية السهم .
الاتجاهات	الشمال والجنوب والشرق والغرب والوسط
الأشكال	التثليث والتربيع
الأبعاد والمسافات	مسيرة يوم .

(١) الرحلة ، ص٣٧.

ومـن الجـدير بالـذكر أنـه لـولم يحـصل هـذا الرحالـه علـى كـل هـذه المعـارف المهمـة عـن مكـة المكرمـة، لمـا أمكنـه ان يـسجل ويكتـب ولما وصل إلى أيدينا كل هذا العلم والجوانب المهمة التى أمدنا بها .

الدروس المستفادة من الرحلة

أولاً : منهج ابن حوقل فى الرحلة :

لـسنا هنـا بـصدد بيـان أو عـرض أو تتبـع خطـوات مـنهج البحـث العلمى كما وردت فى

الكتـب المتخصـصة عـن منـاهج البحـث [١]، ولكننـا نتتبـع الخطـوات التـى اتبعهـا ابـن حوقـل بالفعـل وطبقهـا فـى الرحلـة، ثـم تـبين مكانـة وأهميـة كـل خطـوة منهـا فـى مـنهج المحـدثين . وأيـضاً مـدى اتفاقها أو اختلافها مع خطوات منهج البحث العلمى الحديث .

أمـا عـن خطـوات مـنهج البحـث العلمـى الـذى اتبعـه ابـن حوقـل فـى التـأليف عـن الرحلـة، فقـد كـشفت لنـا عـن أبعـاد جديـدة فـى ذلـك المـنهج، وتتضح تلك الخطوات فى الآتى :

١) بـدأ ابـن حوقـل أولى خطـوات هـذا المـنهج بأنـه اختـار بـل وحـدد الاختيـار لنفـسه [٢] مجـالاً متخصـصاً مـن مجـالات العلـم، وهـو مجـال

---

(١) انظر السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، ص٧٥- ٨١.
شاكر مصطفى: التاريخ العربى والمؤرخون، المجلد١، ص٣٧٨ وما بعدها.
د . ليلى الصباغ : دراسة فى منهجيه البحث التاريخى، ص٢٩ .

(٢) محمد السعيد جمال الدين : مناهج البحث والمصادر، ص ٢٦.

الرحلة لطلب العلم فى مجال المسالك والممالك

٢) والتأليف فيه، بحيث " ... لا يوافق هذا التأليف عنده كتاب الجيهانى ولا يوافق رسم ابن خرداذ به ".وبهذا النص أعلن ابن حوقل عن منهجه فى التجديد عن الدراسات السابقة.

٣) وفى مقدمة الرحلة يشير ابن حوقل [١] إلى العالم أبو السرى الحسن : الفضل بن أبى السرى الأصبهانى، ويصفه بالعلم، ويدعو له بقوله :" ..... سليل السراة، وشهاب الكفاه وغيث العفاة، زمام الفضائل وقطب الخصائل .. وإلى الله أرغب فى إطالة مدته، ورفع درجته، وسمو منزلته إنه مجيب قريب " [٢] .

ويثنى ابن حوقل فى حديثه، فيذكر:" وقد عملت له كتابى هذا بصفته أشكال الأرض" .

وكأن ابن حوقل هنا على علم ودراية بما يجب أن يعمل فى بداية الكتاب عما يعرف فى المصطلح الحديث لأسس البحث العلمى باسم " التصدير" والذى يتضمن إهداء العمل العلمى إلى من له الفضل على المؤلف فى تأليفه، أو إلى من قدم إليه العون والمساعدة، أو إلى من يحبه ويقدره [٣]

٤) أوضح لنا ابن حوقل الأسباب والدواعى والعوامل التى دعته إلى اختيار ذلك المجال، ودعته إلى الإقبال بشغف وحب على هذا

---

(١) الرحلة، ص ٩.

(٢) الرحلة، ص ٩.

(٣) محمد السعيد جمال الدين: المرجع السابق ،ص٢ .

شحاته اسماعيل: منهجية البحث العلمى، ص١٠ وما بعدها

التأليف:

أ) فيقول : " وكان مما حضنى على تأليفة وحثنى على تصنيفه، وجذبنى إلى رسمه أنى لم أزل فى حال الصبوة شغفاً بقراءة كتب المسالك، متطلعاً إلى كيفية البين بين الممالك فى السير والحقائق، وتباينهم فى المذاهب والطرائق، وكمية وقوع ذلك فى الهمم والرسوم، والمعارف والعلوم، والخصوص والعموم ..... " (١).

ب) كما يقول أيضاً : " وكان من أكثر ما حدانى على هذا الكتاب وتأليفه على هذه الصورة أنى كنت فى حال الحداثة شغفاً بأخبار البلدان والوقوف على حال الأمصار، كثير الاستعلام والاستخبار لسافرة النواحى ووكلاء التجارة، وقراءة الكتب المؤلفة فيها ....." (٢).

جـ) ".... وكنت إذا لقيت الرجل الذى أظنه صادقاً وأخاله بما أسأله عنه خبيراً عالماً، فأجد عنده إعادة الخبر الذى اعتقد فيه صدقه، وقد حفظت نسقة وتأملت طرقه ووصفه أكثر ذلك باطلاً، وأرى الحاكى بأكثر ماحكاه جاهلاً ثم أعاوده الخبر الذى ألتمسه منه والذكر ليسمع الذى استوصفته وأطالع معه ماصدر مع غيره فى ذلك بعد رؤية، وأجمع بينهما وبين حكايات ثالث بالعدل والسوية فتتنافر الأقوال وتتنافى الحكايات، وكان ذلك داعية إلى ماكنت أحسه من نفسى بالقوة على الأسفار والركوب والأخطار ومحبة

---

(١) الرحلة، ص ١٠ .، انظر محمد بن صامل السلمى: منهج كتابة التاريخ الإسلامى وتدريسه ص٩٣.

(٢) الرحلة، ص ٢٨٣ .

تصوير المدن، وكيفية مواقع الأمصار، وتجاور الأقاليم، والأوضاع .... " [١].

د) وكان من بين هذه الدواعى أيضاً أنه عندما شب وترعرع حرص على قراءة كتب المسالك والممالك التى كان شغوفاً بها . ولكنه لم يجد منها كتاباً مقنعا وذلك فى قوله:" .... وترعرت فقرأت الكتب الجميلة المعروفة والتوالف الشريفه الموصوفه، فلم أقرأ فى المسالك كتابا مقنعاً، وما رأيت فيها رسماً متبعاً، فدعانى ذلك إلى تأليف هذا الكتاب .." [٢].

وهكذا دعاه عدم الاقتناع بمؤلفات المسالك والممالك السابقة والمعاصرة له لا بالعمق ولا الدسامة، ولا بالجدية ولا الطرافة، إلى أن يتفرد بالجديد، ويبحث عنه، ومن ثم فإنه عثر على بغيته، فألف هذا الكتاب .

وما فعله ابن حوقل يعد من صميم شروط البحث العلمى[٣]، وهو أن يأتى الباحث بالجديد فى بحثه سواء فى المادة العلمية أو فى الرؤية، وأن لا يكون مجرد ناقلاً عن سابقية، وأن يتحرى الصدق من " غثاثة الناقلين وكذب المسافرين ".[٤]

ولنا وقفه مع هذه الأحداث . لماذا لم يعجب ابن حوقل بكتب

(١) الرحلة، ص ٢٨٣ .

(٢) الرحلة، ص ١٠ .

(٣) عبد اللطيف العبد : مناهج البحث العلمى، ص ٨ وما بعدها. .

(٤) الرحلة ، ص ١٥.

من سبقه عن المسالك والممالك ؟ أهو منهج النقل والتصحيح اللغوى الذى لجأ إليه ابن خرداذبه ، علماً بأنه قد أشار إلى أن ذلك النقل كان عن بطليموس؟ [(١)] .

ويذكر أحد المؤرخين المحدثين: " أن المؤرخين فى ديار الإسلام وفى أوروبا فى العصور الوسطى كانوا ينقلون نقلاً كثيراً جداً ممن سبقوهم، وفى بعض الأحيان كانوا ينقلون عن مؤلفات الذين عاصروهم، بل إنهم كانوا ينقلون أحياناً كتبا بأكملها ، وفى معظم الأحيان كان يذكر المصدر الذى نقل عنه ، وأحيانا كان البعض لا يفعل ذلك " [(٢)].

وهناك رأى يقول : " أن النقل كان مألوفاً فى العصور الوسطى، وربما دعا إلى ذلك قلة النسخ التى كانت تكتب من المؤلفات وعدم انتشارها انتشاراً كافياً بسبب غلاء الورق، وعدم اختراع الطباعة ، وكان المؤرخون لا يرون فى ذلك أدنى حرج ماداموا يذكرون المصدر الذى ينقلون منه . وربما كان سبب ذلك أيضاً انعدام العنصر الشخصى فى الكتابة التاريخية ..." [(٣)]

ويبدو أن الرحالة ابن حوقل قد آثر البعد عن هذا المنهج، كما آثر أن يثبت وجود العنصر الشخصى فى الكتابة التاريخية والجغرافية ، كما آثر أيضاً أن يكون له منهجاً متفرداً خاصا به غير مسبوق .

(١) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، التحقيق ،ص ٣.

(٢) دز زكى حسن : دراسات فى الموازنة ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٣) د. سيدة الكاشف : مصادر التاريخ الإسلامى ، ص ٥٠- ٥١.

٤) ويكمل ابن حوقل خطوات منهج البحث العلمي الصحيح التي اتبعها ، فلا ينسى أن يعرض باختصار للصعوبات التي قابلها ، فيذكر: " ..... كيف تعاورتني الأسفار واقتطعتني في البر دون ركوب البحار، إلى أن سلكت وجه الارض بأجمعه في طولها ، وقطعت وتر الشمس على ظهرها ... "[1].

وهذه الخطوة تعد خطوه مهمة من خطوات منهج البحث العلمي المعتمده لدى العلماء في إبراز الصعوبات التي تكتنف البحث وكيفية علاجها . والواضح أن الصبر وقوة التحمل والعزيمة والرغبة الأكيده في الوصول إلى الهدف كانت بمثابة الزاد الذي تزود به ابن حوقل لاتمام الرحلة حيث أن الصبر يعد من أهم سمات الباحث الجيد .

٥) وعندما نأتي لمرحلة جمع المادة العلمية[2] نجده ينحو نحو مجال المشاهدة والتجريب بنفسه، فينطلق وينتقل،ويصول ويجول ويتعرض للمصاعب والأخطار . ومن المؤكد أنه كان يحمل معه كل الأدوات التي تمكنه من العمل بيده في تقدير وقياس المساحات والأطوال والارتفاعات والانخفاضات، ومما ساعده على ذلك أنه كان له باع كبير في معرفة هذه المجالات، إلى جانب أن ممارسة التجربة بنفسه أكسبته المزيد والمزيد من المعرفة والخبرة والتمكن والتحقق والتثبت من كل صغيرة وكبيرة كان يصبو للوصول إليها ، كما أنها قصرت أمامه الطريق الطويل في الوصول إلى الهدف .

---

(١) الرحله ص ١١ .

(٢) محمد السعيد جمال الدين: مناهج البحث، ص٥١ .

٦) تجنب ابن حوقل " كثرة التخليط " على حد قوله أو كما أطلق عليه، والذى قد يوقعه فى خطأ أو حرج، أو قد يؤدى أن يختلط الأمر فيه على القارئ فتصبح الصورة أمامه غير صحيحة أو غير واضحة أو غير مفهومة، ولذلك فقد حرص على أن يتجنب إعادة عرض صورة الأقاليم السبعة التى هى عبارة عن أقسام الارض، والتى اسماها فى كتابه : " الصورة الهندية " ؛ والتى سبق أن أوردها بطليموس والاصطخرى وغيرهما ورغم أنها صورة صحيحة باعتراف ابن حوقل، إلا أنه وصفها بأنها " كثيرة التخليط "، ولذلك فقد رفض ابن حوقل أن يسير على منهج سابقيه فى هذه النقطة .

وهذه أيضا خطوة مهمة من خطوات منهج البحث العلمى لدى العلماء المحدثين، والتى تقضى بأن الباحث إذا قرأ أى نص أو رواية أو إذا اطلع على رأى ما من الآراء، فإنه يجب عليه ألا يقف إزاءه مكتوف الأيدى، أو يجب عليه الا يأخذه كقضية مسلم بها ويوافق عليه بدون أن يبدى رأيه الخاص فى الأخذ به أو رفضه أو تعديله بما يرى [1]، ولا نملك ازاء هذا إلا أن نشهد بأن الرحالة ابن حوقل كان يتمتع بشخصيه علمية متفردة . ميّالا إلى التجديد وعدم التقليد .

٧) لم يركن ابن حوقل إلى الجانب النظرى فحسب، بل إنه أيضا إلى جانب ذلك نحا منحاً تطبيقياً، ولذا فقد زود وزين كتابه " صورة الأرض " بصور للأقاليم التى رحل اليها معبرة عن الحقيقة . فيذكر : " وقد جعلت لكل قطعة من الأرض أفردتها تصويرا

(١) أحمد بدر : أصول البحث العلمى ومناهجه، ص٥٧ .

وشكلا يحكى موضع ذلك الأقليم " [١].

ما أروع هذا التصوير الذى جعل الناظر إلى كل صورة يشعر أنه يحاكى الحقيقة، وأن الصورة كأنها تحكى لناظرها، كل كبيرة وصغيرة عن الموضع الذى رسمت له ومن أجله .

كما ذكر ابن حوقل أنه انفرد بذكر ذلك، وانفرد أيضا بأنه صور هذه الأقاليم : "التى لم يذكرها أحد " . والحقيقة أن الرحالة ابن حوقل لم يذكر هذا من منطلق الغرور والتكبر، ولا مدعيا بأنه وحيد زمانه الذى أتى بعلم لم يأت به سابقيه، متماديا فى نغمة (الأنا)، ولكنه تدارك كل هذه الأمور وكان متواضعا تواضع العلماء، معترفا بالحقيقة دون حرج . فكما أنه كانت هناك رؤية جديدة إلا أن هناك جوانب آخرى " .... وجدت أخبارها متفرقة " فى الكتب السابقه عليه: " .... فأما ذكر مدنها وجبالها وأنهارها وبحارها والمسافات فيها، وبعض ما أنا ذاكره فقد يوجد فى الأخبار متفرقا ... " [٢].

وهذا دليل قاطع على تواضع الرحاله ابن حوقل واعترافه بقدراته، وعدم التحرج من الاستفادة من الدراسات السابقه . والحقيقة أن هذه خطوة رئيسة من خطوات البحث العلمى وفى بها ابن حوقل وأجادها تماما. وليس أدل على ذلك ماذكره فى الرحلة : " وكان

(١) الرحلة ، ص ١٠ .

(٢) الرحلة ، ص ١١.

لايفارقنى كتاب ابن خرداذبه وكتاب الجيهانى وتذكرة أبى الفرج قدامة بن جعفر .... " [١] إلى جانب : "توخى العلوم النافعة والسنين الواجبة " [٢].

٨) ذكر ابن حوقل أن العلم الذى قدمه للناس من خلال هذه الرحلة ومن خلال هذا الكتاب والذى اختصره فى هذه السطور : " وقد جعلت قطعة أفردتها تصويرا وشكلا يحكى موضع ذلك الاقليم، ثم ذكرت ما يحيط به من الأماكن والبقاع، وما فى أضعافها من المدن والأصقاع، وما لها من القوانين والارتفاع، ومافيها من الأنهار والبحار، ومايحتاج إلى معرفته من جوامع مايشتمل عليه ذلك الاقليم من الأموال والجبايات والأعشار، والخراجات والمسافات فى الطرقات، ومافيه من المجالب والتجارات " .

ذكر أن هذا العلم : " إذ ذاك علم يتفرد به الملوك الساسة، وأهل المروآت، والسادة من جميع الطبقات " [٣] .

ثانياً : تصحيح آراء بعض المستشرقين :

يذكر المستشرق دى غويه De Goeje محقق كتاب " صورة الارض " لابن حوقل، أن ابن حوقل استقى توجه الاصطخرى حين اتخذ من كتابه اساسا لمصنفه، وينقل المستشرق أرندنك C. Van Aren donk كاتب مقالة (ابن حوقل) فى دائرة المعارف الإسلامية عن دى

(١) الرحلة، ص ٢٨٤ .

(٢) الرحلة، ص ٢٨٤ .

(٣) الرحلة ، ص١٠.

غويــة هــذا الــرأى فيقــول :[٤] " ...... والــراجح أن يكــون قــد لقــى الاصطخرى فى رحلاته حوالى عام ٣٤٠ هـ، وقد طلب منه الاصطخرى أن يهذب له بعض خرائطه الجغرافية وأن يراجع مصنفه، ولكن ابن حوقل عزم بعد ذلك على كتابة هذا المصنف " المسالك والممالك " من جديد، وأنه واضع اسمه عليه، ولم يكن ذلك قبل عام ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م "[١]

وإن كنا نوافق المستشرق أرندنك فيما قاله عن صحة اقتباسات ابن حوقل ونقله من الإصطخرى فى اللقاء المبهم الذى تم بينهما، ودليلنا على ذلك، أقوال ابن حوقل نفسه : "ولقيت أبا إسحاق الفارسى، وقد صوّر هذه الصورة لأرض السند فخلطها وصور فارس فجودها، وكنت قد صورت أذربيجان التى فى هذه الصفحة فاستحسنها والجزيرة فاستجادها، وأخرج التى لمصر فاسدة، وللمغرب أكثرها خطأ، وقال : قد نظرت فى مولدك وأثرك، وأنا أسألك إصلاح كتابى هذا حيث ضللت. فأصلحت منه غير شكل وعزوته إليه ثم رأيت أن انفرد بهذا الكتاب وإصلاحه، وتصويره أجمعه وأيضاحه .... "[٢].

فلا نوافقه على رأيه بتحديد تاريخ اللقاء بينهما بسنه ٣٤٠ هـ،

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، مادة ابن حوقل، ص ٢٦٥، مقالة ارندنك، اتظر مراجعة فى نفس الصفحة

(١) Wüstenfeld – Mahler she vergleichungs – Tabellen Der : Mohammed-anischen und Christlichen Zeitrechnung

ترجمة إلى العربية د. عبدالمنعم ماجد و د. عبدالمحسن رمضان بعنوان : جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها .

(٢) الرحلة، ص ٢٨٤ .

لأنــه مــن الواضــح أنــه قــد اخــتلط عليــه الأمــر فــى تحديــد ذلــك التــاريخ، ويبــدو أن المستــشرق قــد نــسى أنــه ســبق لــه وأن حــدد ســنه وفــاة الاصــطخرى بــسنة ٣٢٨ هــ – نــاقلا ذلــك عــن ابــن خلكــان [(١)]. – فــى مقالتــه (الاصــطخرى) فــى دائــرة المعــارف الاســلامية . هــذا إلى جانــب أن ابــن حوقــل قــد صــمت عــن ذكــر تــاريخ هــذا اللقــاء، وأن نــصه يخلــو تمامــا من ذكره .

واذا كــان الأســتاذ أرنــدنك قــد جانبــه الــصواب فــى تحديــد مكــان وتــاريخ أو زمــان اللقــاء بــين كــل مــن الاصــطخرى وابــن حوقــل، فــإن محقــق كتــاب الاصــطخرى [(٢)] (المــسالك والممالــك) يؤكــد أن مكــان اللقــاء كــان فــى بغــداد، ويميــل الى تحديــد تــاريخ اللقــاء بــسنة ٣٢٥ هــ، فيقــول : " ذلــك أن ابــن حوقــل التقــى بــه فــى بغــداد فــى أواخــر حياتــه أى فــى ســنه ٣٢٥ هــ، كمــا تــبين ذلــك مــن قولــه أنــه كــان فــى بغــداد ســنة ٣٢٥ هـ " . وعلى ذلك فنحن نميل إلى الأخذ بهذا الرأى " [(٣)]

***

(١) اين خلكان : وفيات الأعيان، ترجمة أبى سعيد الاصطخرى، رقم ١٥٨ .

(٢) د . محمد جابر الحيتى، مقدمة التحقيق، ص ٩ .

د . نهله انيس محمد مصطفى : الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى الثغور والعواصم الإسلامية على الحدود البيزنطية من سنة ١٣٢ – ٦٥٦ هـ/ ٤٧٩ – ١٢٥٨ م . رسالة ماجستير جامعة الأزهر ١٤١١ هـ / ١٩٩١م . انظر الفصل الخاص بالدراسة النقدية للمصادر، ص (ز) .

(٣) يلاحظ أن د . الحيتى يعود فيذكر أن الإصطخرى توفى فى منتصف القرن الرابع الهجرى . انظر مقدمة التحقيق. وإن صح هذا فإن تاريخ اللقاء مع ابن حوقل لم يتم فى أواخر حياة الاصطحرى كما ذكر، ولكن تم قبل وفاته بكثير .

صدى كتابات ابن حوقل عن الرحلة

فى الأوساط العلمية لدى القدماء والمحدثين

والحقيقة أن المجال العلمى الذى اختاره ابن حوقل – الرحلة فى طلب العلم علم البلدان – يمثل تطورا للفكر البشرى، وكما وأنه قد بنى على السابق فإنه لابد وأن يكون له لاحق، بحيث كانت الاستمرارية والجدية من أهم سمات هذا الزاد المعرفى الموسوعى على أيدى اللاحقين له والمتأثرين به .

وكذلك كان منهجه الذى سار عليه فى كتابه هو الأساس الذى سار على هديه علماء تقويم البلدان القدماء من بعده .

كما فتحت كتابات ابن حوقل آفاقا وميادين جديده أمام مؤلفين محدثين تخصصوا فى مجالات دقيقة جدا ، وعلى سبيل المثال لا الحصر، سنعرض لنماذج من كلا الفريقين .

ومن أهم الرحالة الذين تسلحوا بالمعارف الواسعة وقدموا لنا تجربتهم فى هذا المجال : الشريف الادريسى[1]. وهو من علماء القرن السادس الهجرى، ولد سنه ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م، قام برحلاته فى

---

(١) أبى عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الحمودى الحسينى المعروف بالشريف الإدريسى . كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق . المجلد الأول، ص ٦ . مكتبة الثقافة الدينية . بور سعيد .

الأندلس وشمال أفريقية وآسيا الصغرى، وزار فرنسا وانجلترا، ثم رحل إلى الملك روجار الثانى ملك صقلية " وصنف كتابه المشهور " نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق " المعروف باسم " كتاب روجار " سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٤ م، كذلك صنع أول كرة أرضية عرفت فى التاريخ، من الفضة الخالصة وزنها ١٤٤، وهى عبارة عن : " دائرة مفصلة عظيمة الجرم ضخمة الجسم فى وزن أربع مائة رطل بالرومى فى كل رطل منها مائة درهم واثنى عشر درهما، فلما كملت أمر الفعلة أن ينقشوا فيها صور الأقاليم السبعه ببلادها وأقطارها وسيفها وريقها وخلجانها وبحارها ومجارى مياها ومواقع أنهارها وعامرها وغامرها ومابين كل بلد منها وبين غيره من الطرقات والمطروق والأميال المحدودة والمسافات المشهورة والمراسى المعروفه على نص مايخرج إليهم ممثلا فى لوح الترسيم ولايغادروا منه شيئا ويأتوا به على هيئته وشكله كما يرسم لهم فيه . وان يؤلفوا كتابا مطابقا لما فى أشكالها وصورها نجد أنه يزيد عليها بوصف أحوال البلاد والأرضين فى خلقها وبقاعها وأماكنها وصورها وبحارها وجبالها ومسافاتها ومزروعاتها وغلاتها وأجناس بنائها وخواصها والاستعمالات التى تستعمل بها والصناعات التى تنفق بها والتجارات التى تجلب إليها وتحمل والعجائب التى تذكر عنها وتنسب إليها وحيث هى من الأقاليم السبعة مع ذكر أحوال أهلها وهيئاتهم وخلقهم ومذاهبهم وزيهم وملابسهم ولغاتهم وأن يسمى هذا الكتاب بكتاب نزهة المشتاق .... وكان ذلك فى العشر الأول من يناير الموافق شهر شوال فى سنه ثمان وأربعين وخمس مائه ٥٤٨ هـ فامتثل فيه الأمر وأرتسم الرسم وأول ما ابتدئ به من ذلك الكلام على صورة الأرض المساه بالجغرافية كما

سماها بطليموس ووصفها به "[١] .

وقد أشارت العديد من المصادر إلى استفادة ياقوت الحموى من كتابات ابن حوقل [١]، وهو من أشهر الرحالة والجغرافيين والمؤرخين والأدباء المسلمين ولد سنه ٥٧٥ هـ/ ١١٧٨ م وتوفى ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م، وقام برحلاته فى إيران وبلاد العرب وآسيا الصغرى ومصر والشام وبلاد ماوراء النهر، إلى جانب أنه احترف نسخ الكتب وتجارة الكتب، وأفاد من التنقيب فى خزانات الكتب ولاسيما من خزائن مدينة مرو، وأخرج لنا هذه التجارب فى معجمه الشهير " معجم البلدان" ورتبه على حروف الهجاء، وقد جمعه بدقه، وأنتهى من تأليفه سنه ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م [٢] .

كما كانت رحلة ابن حوقل نبراسا وقنديلا يضئ الطريق أمام الرحالة من بعده من أمثال : ابن جبير الكتانى الأندلسى [٣] سنه ٥٣٩ – ٦١٤ هـ / ١١٤٤ – ١٢١٧ م، والذى كتب رحلته فى كتاب باسمه : " رحله ابن جبير " .

وابن بطوطه [٤] : الرحالة العالم الذى ولد سنه ٧٠٣ هـ / ١٣٠٤

(١) الإدريسى : نزهة المشتاق، مجلد ١، ص ٦، ٧

(١) د . الحيتى : مقدمة تحقيق كتاب الاصطخرى، ص ٧

(٢) سيده كاشف : مصادر التاريخ الإسلامى، ص ٤٧

(٣) هو أبو الحسن محمد بن (محمد بن جبير الكتانى، الأندلسى، الشاطبى اليلنسى) . للمزيد انظر : الرحلة : دار صادر بيروت ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

(٤) محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتى الطنجى ١٣٠٤/٧٠٣ م / هـ ١٣٧٧ م " تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" . للمزيد انظر : الرحلة . دار الكتاب اللبنانى بيروت لبنان، ودار =

– ١٣٧٧ م، والذى كتب رحلته فى كتابه باسم : " تحفه النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " .

هؤلاء وآخرون حرصوا على الرحله فى طلب العلم إلى مكة المكرمة، واخرجوا المؤلفات الثمينه النفسيه إلى النور والتى كانت جميعها أساسا للدراسات الحديثة .

والعمرى [١] الذى توفى سنه ٧٤٩ هـ ألف كتابه : " مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار " [٢].

وخليل بن شاهين الظاهرى ألف كتابه : " زبدةكشف الممالك وبيان الطرق والمسالك " [٣] والذى أفرد جزءا خاصا لمكة المكرمة [٤]. وابن المجاور الذى ألف كتابه: " صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز " المسماه (تاريخ المستبصر) [٥] .

وإسماعيل البغدادى الذى ألف كتابه : "مراحل الاطلاع على أسماء الأمكنه والبقاع " [٦] .

أما عن نماذج المؤلفين المحدثين، واهتمامهم برحلة ابن حوقل وتأثرهم بكتاباته، فكانت عديدة ومتنوعة، ومن الجدير بالذكر أن

=

الكتاب المصرى. القاهرة . انظر : د . إبراهيم العدوى : ابن بطوطه فى العالم الإسلامى، ص ٥، وما بعدها .

(١) شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله .

(٢) تحقيق د . أيمن فؤاد سيد .

(٣) اغتنى بتصحيحة المستشرق بولس راويس .

(٤) جمال الدين أبو الفرج يوسف بن يعقوب .

(٥) تحقيق Oscar Lofyren

(٦) تحقيق د. البجاوى ، القاهرة ١٩٥٤م .

هـذه الرحلـة قـد اسـتهوت الكـثير مـن المتخصـصين، فـانكبوا يكتبـون المؤلفـات عـن الرحلـة بوجـه عـام، وعـن الرحلـة إلى بـلاد الحجـاز ومكـة المكرمة بوجة خاص، والتى نالت حظا موفورا من هذه الكتابات [١] .

وهنـاك مـن تـصدى لدراسـات تخصـصية عـن دقـائق وجوانـب مـن تلـك الرحلـة، فتخـصص الـبعض فـى دراسـة المـسافات والأطـوال [٢]، والـبعض فـى الخـرائط وصـور الأمـاكن، والـبعض فـى المكاييـل والموازين [٣] والبعض فى الخراج والضرائب [٤] .

وممـا هـو جـدير بالـذكر أيـضا أن مـا أتمـه ابـن حوقـل مـن دراسـة فـى رحلتـه كـان مثـار إعجـاب بعـض الرحالـة مـن المستـشرقين المحـدثين مـن علمـاء الغـرب حيـث أدركـوا الاهميـة البالغـة لهـذه الرحلـة، فعكفـوا

---

(١) انظر على سبيل المثال لا الحصر : الخديوى عباس حلمى باشا ومحمد لبيب بك البتانونى : الرحلة الحجازية / د. عبدالله بن عودة القدومى : الرحلة الحجازية والرياض الأنسية فى الحوادث والمسائل العلمية / عمر يحيى بن محمد المختار الولاتى : الرحلة الحجازية / محمد بن عثمان السنوسى : الرحلة الحجازية . أوليا جلبى : الرحلة الحجازية / إبراهيم عبدالقادر المازنى : رحلة الحجاز / د . إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية . رحلة حسن نظامى دهلوى فى مصر وفلسطين والشام والحجاز ١٩١١ م . ، بيرتون : رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز ، ترجمة وتعليق د. عبد الرحمن عيد الله الشيخ ، القاهرة ، ١٩٩٤.

(٢) فالتر هنس : المكاييل والأوزان الإسلامية، وما يعادله فى النظام النقدى " . ألف فصلاً خاصاً عن المسافات والأطوال ، ص ٨١- ٩٥.

(٣) نواف بن صالح الحليس : المنهج الاقتصادى فى المكاييل والموازين لنبى الله شعيب . وانظر مؤلفاته عن الجوانب الاقتصادية فى حياة محمد صلى الله عليه وسلم ./ د. سهام أبوزيد: الحسبة فى مصر الإسلامية ، انظر إشراف المحتسب على المكاييل والموازين فى الأسواق ،ص ٩ وما بعدها.
د. سامح فهمى : المكاييل فى صدر الإسلام . المقريزى : الأوزان والأكيال .

(٤) الريس : الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية . انظر التفصيل فى الثبت الخلفى للمصادر والمراجع .

على قراءتها وأولوها عناية كبيرة، وليس هذا فحسب، بل قرروا الاستفادة من هذه الرحلة وإفادة غيرهم أيضا :-

فمنهم من تصدى لترجمة هذه الرحلة من العربية إلى الانجليزية وإمداد الغرب الأوربى بكنوز الشرق بهذا العلم، واطلاع أهله على جهود هذا الرحالة المسلم . ومنهم من فرغ نفسه لتعلم اللغة العربية لإعداد نفسه خصيصا لدراسة هذه الرحلة دراسة صحيحة، وتقديم هذا الفرع من العلم للشعوب غير الناطقة بالعربية . ومنهم من اكتفى بالتمعن فى قراءة هذه الرحلة لمجرد الاستعانة بها، واقتباس مايناسبه منها فى كتاباته عن الرحلة فى العصر الحديث . فهذا هو الكاتب الانجليزى وليام أوزلى : Sir William Ousely الذى قام بترجمة الرحلة إلى اللغة الإنجليزية، ونشرها فى عاصمة بريطانيا [١].

وهذا هو العالم الرحالة الفرنسى كلوب إتيان سفارى[٢] الذى زار مصر فى القرن ١٨م، والذى تفرغ لتعلم اللغة العربية ودراسة

---

(١) The Oriental Geography of Ebn Haukal on arabian Traveller of the tenth Century. Translated by sir william Ousely. London, ١٨٠٠ .

(٢) درس فى كلية الراين، وسافر إلى مصر عام ١٧٧٧ م حيث مكث فيها ثلاث سنوات، وكتب رحلته، وطبعت هذه الرحلة ونشرت بتوصية من شقيق الملك لويس الخامس عشر عام ١٧٨٦ م، وقام بطبع كتاب عن شمائل محمد (صلى الله عليه وسلم) عام ١٧٨٤م، كما أن له مصنفات عن النحو العربى، وقد طبعت بعد وفاته فى عام ١٨١٣م. انظر: . Savary, Clauda Letters sur L'Egypte Paris, ١٧٨٠

د . الهام محمد على زهنى : مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن ١٨. ص ٦٦. ط ١٩٩٢م القاهرة .

القرآن الكريم، كما كان عاشقا للحضارة الإسلامية، وقد ساعده كل ذلك على القراءة بمهاره والفهم لكتب المؤرخين والجغرافيين القدماء وتذوقها، ومن ثم الاستفاده منها، والاسترشاد بما جاء فيها من نصوص علمية دسمة والإشارة إليها والأخذ بها، وفى إطار هذا المنهج بذل هذا العالم المستشرق كل مافى وسعه للأخذ مماكتبه ابن حوقل، وعلى وجه التحديد فقد استفاد سفارى مماكتبه ابن حوقل فى رحلته عن الحدود والمواقع الخاصة بمصر .

وقد سبق الإشاره فى سياق البحث إلى اسم المستشرق الفرنسى الاستاذ دى جويه الذى حرص على تحقيق ونشر رحلة ابن حوقل مع بعض الترجمات إلى العربية والى بعض اللغات الأوربية لإفادة القراء . وكذلك إلى اسم المستشرق ارندنك الذى اجتهد فى كتابه مقالة (ابن حوقل) فى دائرة المعارف . وهذه لمحة أو إطلالة سريعه على اهتمام المستشرقين من علماء الغرب برحلة ابن حوقل .

***

وفى خاتمة البحث نقول :

نحن فى عصر لاتتباهى به الأمم باتساع أراضيها ولا بكثرة عدد سكانها ولكن بكثرة عدد العلماء : فى كل فن من فنون العلم النافع الذى ينفع الإنسانية فى كل زمان ومكان.

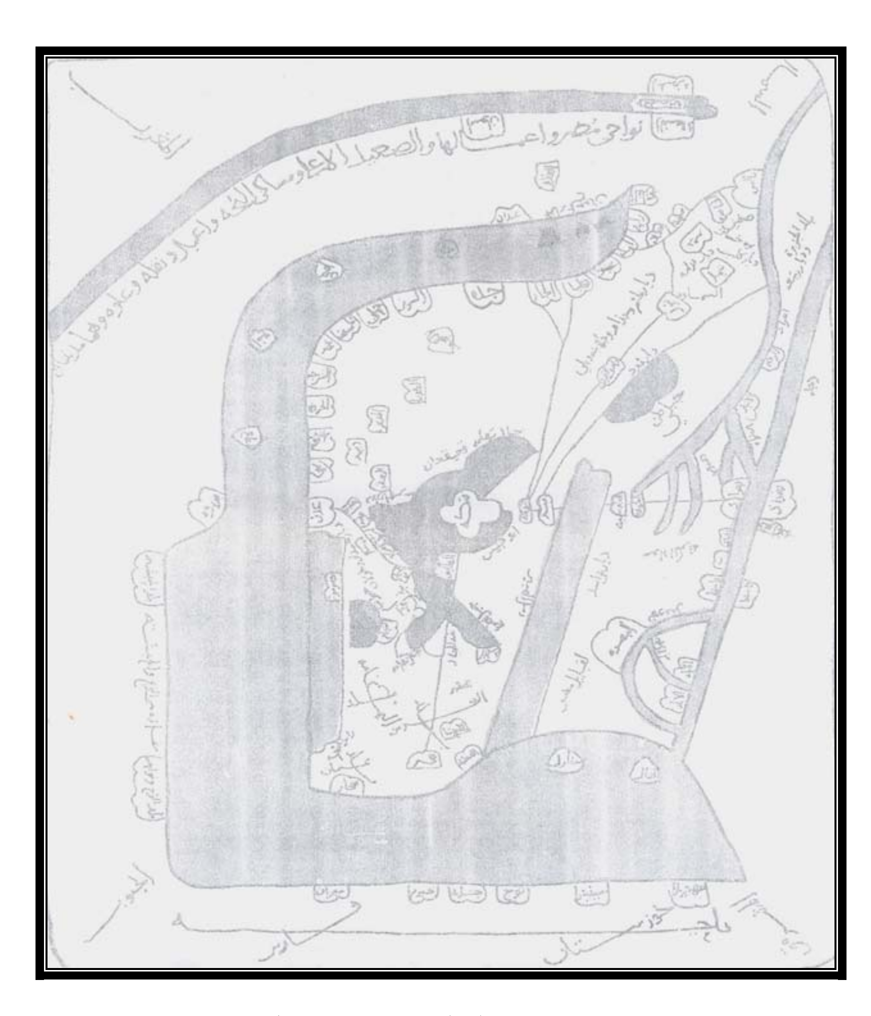
ونحمد الله سبحانه وتعالى الذى قيض للإنسانية علماء أفذاذاً

لخدمة الدين والعلم من أمثال ابن حوقل الذى قدّر العلم والكتب [(١)]، والتى تعد رحلته رحلة فى طلب العلم بكل مقاييس العلم والثقافة فى مجال : الدراسات الإسلامية والعربية، والتاريخ، والجغرافيا، وعلم البلدان[(١)]، والذى أضاف أبعاداً جديده إلى الرحلة فى طلب العلم، وأسهم فى ظهور الاتجاه العلمى التجريبى والتطبيقى، ووضع لبنه من لبنات البناء الشامخ لأحد فروع العلم والثقافة والمتصل اتصالا وثيقا بالفروع الأخرى وخادماً للحضارة الإسلامية فى تطورها وازدهارها وبذلك فهو قد أنار الطريق لمن جاء بعده فى هذا المجال . وأتمنى من الله العلى القدير أن أكون قد وفقت فى عملى هذا الذى أقدمه خالصاً لوجه الله عز وجل ولخدمة العلم .

***

(١) للمزيد انظر : ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية، ص ٧ .

(١) للمزيد انظر : ابيست (جوردون) : الجغرافيا توجه التاريخ . ترجمة د . جمال الدين الدناصورى . القاهرة . د . محمد أحمد حسونه : الجغرافيا التاريخية الإسلامية .



صورة ديار العرب ومكة المكرمة

المصادر والمراجع

١- ابن الآبار (محمد بن عبدالله بن أبى بكر القضاعى) : " التكملة لكتاب الصلة " نشر دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧م.

٢- الأدريسى (أبو عبدالله محمد بن محمدين بن عبدالله بن إدريس الحمودى الحسينى) :" نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق " المجد الأول . مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد ، د.ت .

٣- الاصطخرى : (أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى) : " كتاب المسالك والممالك " . طبعة ليدن مطبعة بريل ١٩٣٧م . وطبعة تحقيق د . محمد جابر الحيتى . طبعة مصر وزارة الثقافة ١٣٨١ هـ/١٩٦١م .

٤- الألبانى: (محمد ناصر الدين):

– "صحيح الجامع الصغير وزيادته " ، بيروت ، المكتب الإسلامى، ط٣ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

– " ضعيف الجامع الصغير وزيادته " ، بيروت ، المكتب الإسلامى، ط٣ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

أبو داوود : "سنن أبى داوود" جمعية المكنز الإسلامى ٢٠٠٠م.

٥- أبو زيد: سهام مصطفى (الدكتورة):

– " الحسبه فى مصر الإسلامية " . مطبوعات الهيئة العامة للكتاب " ١٩٨٦ م .

– " دعاوى غربية بالأسبقية التاريخية والرد عليها " . بحث ضمن بحوث مؤتمر الحضارة الإسلامية، الأردن مدينة . إربد ٢٠٠٢ م .

٦- أدهم: مصطفى منير (الدكتور): "رحلة الإمام الشافعى إلى مصر" ، المقتطف ،القاهرة ١٩٣٠م.

٧- اسماعيل : شحاته محمد (الدكتور): " منهجية البحث العلمى " ، القاهرة ١٩٩٣م.

٨- أنيس: نهلة (الدكتورة): "الحياة الإقتصادية والإجتماعية فى الثغور والعواصم الإسلامية على الحدود البيزنطية من١٣٢ هـ – ١١٥٦م إلى٤٧٩هـ – ١٢٥٨م" رسالة ماجستير، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر ١٤١١هـ /١٩٩١م.

٩- أبيست (جوردون) : " الجغرافيا توجه التاريخ " . ترجمة الدكتور جمال الدين الديناصورى . القاهرة د . ت

١٠- البخارى: (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم): "صحيح البخارى" ، الجزء ١ ، باب العلم ، جمعية المكنز الإسلامى ١٤٢١ هـ

١١- بدر: أحمد (الدكتور): "أصول البحث العلمى ومناهجه" ، الكويت، وكالة المطبوعات ، ط أولى ١٩٧٣م.

١٢- ابن شكوال : "كتاب الصلة" . طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٦٦م.

١٣- البغدادى : (اسماعيل) : " مراحل الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع " . تحقيق د . البجاوى . القاهرة ١٩٥٤م .

١٤- ابن بطوطه : (محمد بن عبدالله بن محمد إبراهيم اللواتى الطينحى) " تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ". دار الكتاب اللبنانى . بيروت لبنان د . ت . ودار الكتاب المصرى، القاهرة . د . ت.

١٥- بيرتون : " رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز " ترجمة وتعليق د . عبدالرحمن عبدالله الشيخ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م " (الألف كتاب الثانى١٦) .

١٦- التاجر : (سليمان): " رحلة سليمان التاجر " " أو سلسلة التواريخ " نشر لانجلس سنة ١٨١١ م، وطبعة سنة ١٨٤٥م و ١٩٢٢م .

١٧- ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكتانى الأندلسى الشاطبى البلنسى) : " رحلة ابن جبير " . دار صادر بيروت ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤م .

١٨- جلبى (أوليا) : " الرحلة الحجازية " ترجمه عن التركية وقدم له الصفانى أحمد المرسى، القاهرة، دار الأفاق العربية، ١٩٩٠ م .

١٩- ابن جماعة : " المنهل الراوى ".

٢٠- جمال الدين: زكى محمد (الدكتور): "مناهج البحث و المصادر" ط ثالثة ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

٢١- حسن : زكى محمد (الدكتور) :

- " دراسات فى الموازنة " ،ط القاهرة .
- " الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى " ، القاهرة ١٩٧٠م.

٢٢- حسونه (محمد أحمد)، (الدكتور) : " الجغرافيا التاريخية الإسلامية . القاهرة د . ت

٢٣- الحليسى: نواف بن صالح (الدكتور) :" المنهج الاقتصادى فى المكاييل والموازين لنبى الله شعيب عليه السلام " . ط أولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م .

٢٤- الحميدى (أبو عبدالله محمد بن أبى نصر فتوح الأزدى) : "جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس " . القاهرة ١٩٦٦ .

٢٥- ابن حوقل : (أبو القاسم بن حوقل النصيبى) : " صورة الأرض " . منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩ م .

٢٦- ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف) : " كتاب المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس " . نشره انطونيا ، باريس ١٩٣٧م .

٢٧- الخديوى: (عباس حلمى باشا) : " الرسالة الحجازية " . القاهرة مطبعة الجمالية ١٩١٠ م

٢٨- ابن خرداذبة (عبدالله بن أحمد) ت ٣٨٠ هـ/٨٩٣م : " المسالك والممالك " . نشر دى جويه، ١٨٦٧ م وطبعة ليدن بريل ١٨٨٩م .

٢٩- الخشنى (محمد بن حارث) : " قضاة قرطبة " طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة . القاهرة ١٩٦٦م .

٣٠- ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد المغربى)، ٨٠٨ هـ/١٤٠٥ – ١٤٠٦م :

– " العبر وريوان المبتدأ والخبر " . القاهرة ١٣٠٥ هـ، ١٣٨٤ هـ .

– " المقدمة "، طبعة دار الشعب ١٩٧٠م .

٣١- ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم) : " وفيات الأعيان فى تاريخ أهل الزمان " . تحقيق الأستاذ محمد محى الدين القاهرة ١٩٤٨م .

٣٢- خليفة : (حاجى مصطفى كاتب شلبى) : " كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون "، ٧ أجزاء . ليبسك ولندن ١٨٣٥ – ١٨٥٨ م .

٣٣- الخوارزمى : (محمد بن موسى) : " كتاب صورة الأرض " . عنى بنسخه وتصحيحة هانس فون مزيك . طبعة فينا بمطبعة ادولف هولز هوزن، ١٣١٥ هـ / ١٩٢٦ م .

٣٤- دائرة المعارف : وضعها نخبة من الأساتذة مادة : ابن حوقل، الاصطخرى، ابن خرداذبه ط دار الشعب .

٣٥- الدهلوى (حسن نظامى) : " رحلة خواجه حسن نظامى الدهلوى فى مصر وفلسطين والشام والحجاز ١٩١١م " ترجمة وتعليق سمير عبدالحميد إبراهيم، القاهرة المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٢م، المشروع القومى للترجمة .

٣٦- الدينورى : أبى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ت ٢٧٦ : " عيون الأخبار " المجلد ١ – ٢ ، شرحه ومضبطه وعلق عليه الدكتور يوسف على الطويل، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م .

٣٧- ابن رجيب : " كتاب الذيل على طبقات الحنابلة " ط بغداد ، د . ت .

٣٨- رفعت : إبراهيم (الدكتور) : " مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية "، جزءان . القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٢٥ م .

٣٩- الريس : محمد ضياء الدين (الدكتور) : " الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية " . القاهرة ١٩٦١ م .

٤٠- الزبيدى (محمد مرتضى الحسينى) : " تاج العروس محمد جواهر القاموس " . تحقيق على هلالى . ط ثانيه الكويت التراث العربى .

٤١- زهنى : الهام محمد على (الدكتورة): " مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن ١٨ " ، ط القاهرة ١٩٩٢م.

٤٢- سارتون : (أ) : " تاريخ العلم " جزءان . الكويت .د.ت.

٤٣- سالم : السيد عبدالعزيز (الدكتور) : " التاريخ والمؤرخون العرب " . طبعة دار الكاتب العربى للطباعة والنشر سنة ١٩٦٧ م .

٤٤- السلمى : محمد بن صامل (الدكتور): " منهج كتابة التاريخ الإسلامى وتدريسه " ط أولى ، المنصورة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٤٥- السنوسى: (محمد بن عثمان) : " الرحلة الحجازية " . تحقيق على الشنوفى . تونس، الشركة التونسية للتوزيع ١٩٨١ م.

٤٦- السيوطى : (الحافظ جلال الدين بن عبدالرحمن) :

– " تاريخ الخلفا "، تحقيق د . محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، ١٣٩٥هـ / ١٨٧٥ م

– " حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة " . تحقيق د . محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة البابى الحلبى . ط ١ ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م

٤٧- أبو شامة (عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسى) : " الروضتين فى أخبار الدولتين " . ط تحقيق د . محمد حلمى أحمد . القاهرة ١٩٤٧ م.

٤٨- ابن شاهين : (غرس الدين خليل):

"زبدة كشف الممالك وبيان طرق المسالك " إعتنى بتصحيحه بوليس راويس، ط باريس ١٨٩١م.

٤٩- الصالح: صبحى (الدكتور): "علوم الحديث ومصطلحه "، سوريا.

٥٠- الصباغ : ليلى (الدكتورة) : " دراسة فى منهجية البحث التاريخى " . ط ١٩٧٨ م .

٥١- الضبى : " تاريخ علماء الأندلس "، القاهرة ١٩٦٦ م.

٥٢- الطحان: محمود (الدكتور) : " تيسير مصطلح الحديث " .

٥٣- ابن الطقطقى (محمد بن على بن طباطبا) : " الفخرى فى الآداب السلطانية "، دار صادر بيروت ١٣٨٥ هـ

٥٤- عاشور :سعيد عبدالفتاح (الدكتور) : " المدنية الإسلامية وأثرها فى الحضارة الأوروبية " . الطبعة الثانية . القاهرة ١٩٨٢ م .

٥٥- العبد : عبد اللطيف محمد (الدكتور) : " مناهج البحث العلمى " مكتبة النهضة المصرية ،١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٩م.

٥٦- عبدالباقى : محمد فؤاد : " المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم " . طبعة مطابع الشعب سنة ١٣٣٨ هـ

٥٧- عبدالسلام :أحمد نحراوى (الدكتور) : " الإمام الشافعى فى مذهبيه القديم والجديد " ط أولى القاهرة، ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م .

٥٨- العدوى: إبراهيم أحمد (الدكتور) : " ابن بطوطه فى العالم الإسلامى " . دار المعارف سلسلة إقرأ ١٤٤ .

٥٩- عزالدين : محمد كمال الدين على (الدكتور) : " مجالس الاملاء فى مصر فى ظل حكم سلاطين المماليك " . بحث منشور ضمن ندوة المدارس فى مصر الإسلامية . الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤ م .

٦٠- العلمى : صالح أحمد (الدكتور) : " المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز بغداد . المجمع العلمى العراقى ١٩٦٤ م .

٦١- العمرى : (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله) : " مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار " تحقيق الدكتور أيمن فؤاد سيد . طبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية القاهرة ١٩٦٥ م . طبعة أخرى تحقيق د. عبدالله بن يحيى السريحى . أبوظبى، المجمع الثقافى .

٦٢- عياض بن موسى : " الإلمام إلى معرفة أصول الرواية وتقييد الأسماء " القاهرة د . ت.

٦٣- الغزالى (الأمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد) : "إحياء علوم الدين " . ط دار الشعب، كتاب الشعب .

٦٤- ابن الفرضى (عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدى الحافظ) : " تاريخ علماء الأندلس " . القاهرة ١٩٦٦م .

٦٥- ابن فضلان : " رحلة ابن فضلان " نشرت بعناية فرهن، روسيا ١٨٢٢ م

٦٦- فهمى : سامح (الدكتور) : " المكاييل فى صدر الإسلام " طبعة مكة المكرمة، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.

٦٧- الفيروز ابادى : القاموس المحيط . مطبعة بولاق بدون .

٦٨- قدامه بن جعفر : " كتاب الخراج وصنعة الكتابة " . ليدن ١٨٩٩ م .

٦٩- القدومى : عبدالله بن عودة (الدكتور) : " الرحلة الحجازية والرياض الأنسية فى الحوادث والمسائل العلمية " طبعة نابلس المطبعة الرضوية ١٩٠٦م .

٧٠- كاشف :سيدة إسماعيل (الدكتوره) : " مصادر التاريخ الإسلامى ومناهج البحث فيه "، القاهرة ١٩٧٦ م .

٧١- المازنى (إبراهيم عبدالقادر) : " رحلة الحجاز " . القاهرة، مطبعة فؤاد ١٩٦٠ م .

٧٢- ابن المجاور : (جمال الدين أبو الفرج يوسف بن يعقوب) : " صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماه (تاريخ المستبصر) " . تحقيق Oscar Lofgren: . مطبعة بريل، ليدن طبعة ثانية تحقيق أ . ممدوح

حسن محمد . القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية ١٩٩٦م .

٧٣- المراكشى (ابن عذارى): " البيان " المغرب فى أخبار المغرب "، جزءان . مكتبة صادر بيروت ١٩٥٠ م .

٧٤- المعجم الوجيز (رحل) : مجمع اللغة العربية . ط وزارة التربية والتعليم ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

٧٥- المعجم الوسيط . قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وآخرون ط مصر ١٨٣٠هـ/ ١٩٦٠ م .

٧٦- مصطفى : شاكر (الدكتور) : " التاريخ العربى والمؤرخون " .جزءان، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٨ – ١٩٧٩ م .

٧٧- المقدسى : " أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم " ، نشر دى غويه ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م

٧٨- المقريزى (تقى الدين) : " الأوزان والأكيال " . ط Thychen

٧٩- المقرى : (أحمد بن محمد التلمسانى) : " نفح الطبيب من غصن الأندلس الرطيب "، ٨ أجزاء، حققه احسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م . مطبعة القاهرة ١٩٤٩ م .

٨٠- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) : " لسان العرب "، ماده رحل . بيروت ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م .

٨١- ابن النديم (محمد بن اسحاق) : " الفهرست "، ليبزج ١٨٧١ م .

٨٢- النسائى : (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب):

" سنن النسائى"، الرياض ،دار السلام للنشر والتوزيع ، ط١٤٢٠ هـ .

٨٣- الهمذانى (ابن الحائك) توفى ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م

– " صفة جزيرة العرب " نشر ليدن ١٨٨٤م .

– " الأكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير " حققه محب الدين الخطيب، مصر المطبعة السلفية ١٣٦٨ هـ .

٨٤- الهمذانى (ابن الفقيه) : توفى أواخر القرن ٣ هـ / أوائل ١٠ م " مختصر كتاب البلدان "، ليدن ١٨٨٥ م .

٨٥- هنس (فالتر) الدكتور : " المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادله فى النظام النقدى "، ترجمة د . كامل العسيلى مطبوعات الجامعة الأردنية .

٨٦- الولاتى (محمد يحيى بن محمد المختار) : " الرحلة الحجازية " . تخريج وتعليق محمد حجى . ط بيروت دار الغرب الإسلامى، ط الرباط معهد الدراسات الأفريقية ١٩٩٠ م .

٨٧- ياقوت الحموى : (عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومى الحموى البغدادى) :

– " معجم البلدان " دار إحياء التراث العربى، بيروت، د . ت .

– " معجم الأدباء " دار إحياء التراث العربى، بيروت، د . ت .

٨٨- Brown : Literary History of the Persia vol ١١ .

٨٩- Gronabaum . G : Medieval Islam . Chicago , ١٩٩٢ .

٩٠- ترجمه إلى العربية عبدالعزيز جاويد بعنوان : " حضارة الإسلام " .

٩١- Dr. Sagrid Hunke : Allah Sonne uber dem Abemolano unser Arabosches . Erbe .

٩٢- د . زيغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب أثر الحضارة العربية على أوربا . منشورات المكتب التجارى . بيروت ط أولى ١٩٦٤م

طبعة ثانية ١٩٩٦م .

٩٣- Savary : E : Clauda Letters Sur L'Egypte. Paris, ١٧٨٠ .

٩٤- William Ousely : The Oriental Geography of Ebn Haukal on Arabian traveler of the tenth century. Translated by sir ousely . London, ١٨٠٠ .

٩٥- Wütenfeld – Mahler'she vergleichungs – Tabellen Der : Mohammed anis chen und Christlichen Zeitrechnung .

٩٦- ترجمه إلى العربية الدكتور عبدالمنعم ماجد والدكتور عبدالمحسن رمضان، بعنوان : " جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها . القاهرة . ط أولى ١٩٨٠م . مكتبة الانجلو المصرية .